

الإيديولوجيا (العقائدية) والدولة دراسة في الإيديولوجيا اليهودية ودورها في قيام الدولة

محمد عوض الهزائمة

قسم العلوم السياسية والدراسات الدبلوماسية، جامعة العلوم التطبيقية الأهلية، الأردن

الملخص

تهدف هذه الدراسة إلى إبراز دور الإيديولوجيا في نشأة الكيان السياسي اليهودي في فلسطين، ضمن إطار يتعلق بدور الإيديولوجيا في نشأة الكيانات السياسية بشكل عام، فقد تم بيان أهم المرتكزات والمرجعية الإيديولوجية للفكر السياسي للدولة اليهودية، ذلك الفكر الذي دفع بفكرة إقامة الدولة من طور إلى طور، حتى تحقق قيامها والاعتراف بها ككائن سياسي في بيئة العالم السياسية وعضو عامل في الهيئة الدولية. زيادة على بيان الكيفية التي استطاع بها دعاة الإيديولوجيا اليهودية أن يجعلوا منها إرثاً قديماً للبيئة الغربية وذات ارتباط شديد بما يجري على الساحة الغربية من معتقدات وأفكار وثقافات ساهمت مساهمة كبيرة في دعم الغرب غير المحدد لليهود قبل وبعدها قيام الدولة، وفي نهاية البحث أشرنا إلى عدد من النتائج المستخلصة والتوصيات التي تدور في معظمها حول النقد الموضوعي للإيديولوجيا اليهودية بأسلوب علمي، للحيلولة دون تحقيق أهدافها في المنطقة العربية.

ABSTRACT

The aim of this study is to demonstrate the role of ideology in creation of the Jewish political entity in Palestine within a framework of the relationships between ideology and the establishment of political entities in general. We have presented in the study the most important basics and the ideological grounds of the political thought that formed the foundations of the Jewish state and which had pushed the idea of setting up the state from one stage to another until its actual existence and recognition of it by the international community as a full member. Moreover, we have presented the ways in which the founders of the Jewish ideology were able to inscribe it as a part of the Western heritage and to strongly relate it to Western thoughts, beliefs and cultures which substantially contributed to the unlimited support of the state. In conclusion, we have pointed out a number of results and recommendations which relate mostly to subjective criticism of the Jewish ideology and to propose approach for preventing it from achieving its goals in the Arab region.

مقدمة :

إن نجاح إسرائيل في فرض وجودها في قلب الوطن العربي لم يكن وليد الصدفة، وإنما جاء نتيجة أفكار وضعت بعناية، وفق خطط مدروسة شكلت عبر مسيرة الزمن قناعات أساسية جعلت من اليهود عبداً في محاربيها، وجنوداً يتصرفون وفق هواها، عملوا معاً واستمالوا غيرهم ممن آمن بأفكارهم لخدمة مشروعاتهم السياسي، دون كلل أو ملل، حتى اكتملت البنية التحتية للدولة وأعلن عن قيامها والاعتراف بها دولياً ككائن سياسي فاعل على المسرح الدولي، هذه الأفكار وما ترتب عليها من قناعات هي الأيديولوجيا التي نقصدها وهي محور مشروعنا الدراسي هذا وقوامه.

إن أهمية الدراسة نبعت من ناحيتين: الأولى، كونها تحاول تناول نشأة الدول من جانب ربّما لم ينل الاهتمام الكافي من الباحثين وذوي الاختصاص من قبل. والثانية، للوقوف على المرتكزات التي ساهمت في ولادة المشروع اليهودي، والتعرف على أبعادها من أجل تحديد أساليب مواجهتها، ومن ثم إحباط أهداف المشروع.

تهدف هذه الدراسة إلى: إبراز دور الأيديولوجيا في نشأة الكيانات السياسية - الدول -، مع بيان أهم مرتكزات، ومرجعية الفكر السياسي الذي دفع فكرة الدولة من طور النظرية إلى طور التطبيق، وانتقل بها إلى مراحلها النهائية، والتي كانت ثمرتها إعلان الدولة والاعتراف بها، وبيان الكيفية التي تسللت بها اليهودية للبيئة الغربية، وخلقت منها بيئة معاونة ورديفة تعمل جاهدة لتحقيق أهداف اليهودية وتبناها.

إن دوافع اختياري لهذا البحث، كان وراءها التساؤلات الكثيرة التي يثيرها البعض، والتي في معظمها تصب في سؤال محوري مفاده، كيف تمكنت القلة العديدة اليهودية من تحقيق مشروعها السياسي في قلب العالم العربي، المتصف نسبياً بالكثرة الديمغرافية، وتهدد أقطاره في كل يوم وليلة.

وأما محددات الدراسة، فقد اقتصررت على تناول الظاهرة اليهودية عبر مسيرتها التاريخية، والمرتكزات التي استندت عليها في سعيها الدؤوب، حتى حولت الحلم إلى حقيقة، ذلك هو إقامة الدولة فوق الأرض التي أرادت.

تقوم فرضيات الدراسة على أساس أن الأيديولوجيا تلعب دوراً بارزاً في نشأة الدول، وأن الأيديولوجيات ذات الأصول المشتركة تتقارب، وذات الأصول المختلفة تتباعد وتتعدى. وسيتم قياس صحتها استناداً للمعيارين التاليين: الجذور الأيديولوجية للفكر المؤسس، والعوامل التي ساعدت على فتح أبواب الغرب على مصراعيه لتقبل أفكار اليهود، والإسهام أيما إسهام في مساعدتهم.

وأما إشكاليات الدراسة، فتعني بالإجابة على تساؤلات رئيسة ثلاث: ما هي الإيديولوجيا؟ وهل اليهودية إيديولوجيا؟ وما هي مركزاتها ومرجعيتها الإيديولوجية في حالة اعتبارها كأيديولوجيا؟ وما أسباب التقارب الأيديولوجي اليهودي - الغربي؟ بالإضافة إلى عدة إشكاليات فرعية أخرى متصلة بالإشكاليات الرئيسة تبرز في ثنايا البحث.

الدراسات السابقة:

إن ما يميز هذه الدراسة عما سواها، كونها تركز على دور الإيديولوجيا في إقامة الكيانات السياسية، ولما كانت الدراسات حول هذا الموضوع نادرة، فقد تمت مراجعة عدد من الدراسات الأجنبية والعربية ذات العلاقة للإحاطة بالموضوع وبلورته ذهنياً من أجل تحقيق أهدافه المرسومة ومن هذه الدراسات:

أ-الدراسات الأجنبية:

-دراسة حول "الإنسان الأحادي" (١)، حيث اقتصر تركيز الباحث على عقلية المجتمع القادرة على خلق الفكر، الذي يحكم مسيرته، ولم يستعمل مفهوم الأيديولوجيا بشكل محدد، بل أخذ بعموميات المفهوم؛ لكون همه انصب على إدراك ذهنية المجتمع لتوجيهه بسهولة ويسر نحو تحقيق أهدافه، وإقامة كيان سياسي له.

- وبينت دراسة أخرى عنوانها 'رهان على نفوذ قوة واستمرارية الأيديولوجيات' (٢)، القدرة الكبيرة للأيديولوجيات على صناعة الجديد، من خلال تجنيد الجماهير، والعمل على التفافهم حولها ومن ثم تسييرهم نحو أهدافها، والملاحظ أن الباحث أخذ بعموم الأيديولوجيات دون تخصيص، وقد اشترط لتؤدي الأيديولوجيا دورها الكبير هذا، وجود خطاب علمي يخدم الأيديولوجيا السائدة ويحفزها.

ب-الدراسات العربية:

- هناك دراسة تناولت "الأيديولوجيا الانقلابية" (٣)، لم يميز باحثها بين ما هو إيديولوجي من جهة والفلسفة من جهة أخرى، إلا أنه أشار إلى أن الأيديولوجيا الانقلابية، يبرز دورها في قدرتها على إعطاء معنى للحياة، وهذا يتفق وروح الأيديولوجيا النهضوية الكامنة في الظاهرة اليهودية.

- وهدفت دراسة تتعلق بـ "التوسع الإيديولوجي للولايات المتحدة" (٤)، إلى عرض دور الأيديولوجيا في بناء عقلية ترنو إلى التوسع، ولكنها أهملت دورها في بناء الكيانات السياسية وإقامة

صروحها .

- وفي دراسة حول "الصهيونية من فكرة خرافية إلى دولة توسعية" (٥)، تركز جل الاهتمام على الصهيونية نشأة وتطوراً وأطماعاً، وما استندت عليه من معتقدات وأساطير لبناء الكيان السياسي الذي تريد .

- وأوضحت دراسة انصبت على "العلاقة بين الصهيونية والمسيحية" (٦)، الأفكار التوراتية ذات الدلالة كاليهود "شعب الله المختار" و "رؤيا الخلاص" وغيرها، وكيف تم استغلالها إعلامياً، ليلقى اليهود الدعم الغربي اللامحدود وهم في سعيهم لإقامة كيانهم السياسي .

وأما دراسة "قراءة في كتاب الأصولية الإنجيلية" (٧)، فقد تناول الباحث علاقة المسيحية باليهودية ومدى التلازم بينهما تاريخياً هذا التلازم أوجد ما اصطلح على تسميته بـ "المسيحية الصهيونية، ليفتح الغرب أبوابه للأساطير والمعتقدات اليهودية .

- وتناولت دراسة "الإيديولوجيا الصهيونية" (٨)، المجتمع الصهيوني ككيان عضوي متماسك من الداخل، أكمله الباحث بصورة جدلية مبنية على الصراع من الجانب العربي، الذي يحارب ضد هذا المجتمع من الخارج ليزعزع الفكرة والمجتمع الصهيوني، وهذا يعرف بصراع الأيديولوجيات، إيديولوجيا الإحلال (Replacement) التي يدفع بها اليهود، وإيديولوجيا الصبر والثبات لمقاومة الهجرة وعدم التخلي عن الأرض العربية .

ولما كانت الدراسات السابقة، تغطي وبصورة غير مباشرة بعض جوانب مشروع بحثنا هذا، فإنه من السهل إدراك مدى الصعوبات التي واجهتنا، وتطلبت مزيداً من الجهد والوقت، التي لا بد منها لتبقى أوفياء لمادة الدراسة موضع بحثنا .

الإطار العام للدراسة:

أولاً: المنهجية وتحديد المفاهيم:

١ . منهجية الدراسة: تعد المنهجية المناسبة للدراسة من العوامل الأساسية لنجاحها، وذلك لتأثيرها المباشر على موضوعية النتائج ودرجة الوثوق (reliability) فيها، لذا فإن هذه الدراسة اعتمدت على عدد من المناهج الأكاديمية، فالمنهج التحليلي أخذنا به لبيان مدى الوزن النسبي للعوامل الإيديولوجي الديني في عملية خلق فكرة الدولة، وخدمتها فيما بعد، والمنهج المعرفي للوقوف على الاسقاطات العقائدية لدى النخبة السياسية عند اتخاذ قراراتها السياسية والرامية إلى تعزيز فكرة إقامة الدول وإشادة

بنائها، والمنهج التاريخي استخدم لأهميته الكبرى في معرفة الجذور والامتدادات التاريخية السابقة على نشأة الدول، والوقوف على حقيقة الظروف التي دفعت الفكرة قدماً نحو التحقيق حتى أصابت النجاح المأمول. إن الأخذ بهذه المناهج للإجابة على تساؤلات الدراسة وتحقيق أهدافها، والتأكد من صحة فرضياتها استلزم الرجوع إلى الأبحاث والدراسات المختلفة باللغات العربية وغير العربية.

٢. المفاهيم والمصطلحات: هناك ثلاثة مفاهيم ومصطلحات رئيسة في هذه الدراسة هي: الأيديولوجيا والتوراة والدولة، فالأول والثاني مرتبطان معاً؛ لكون التوراة هي مصدر الإيديولوجيا التي جاءت بالثالث، الذي هو نتاج الإيديولوجيا ومقياس صحة فرضيات الدراسة وأحد أعمدة أهدافها، ولن نتعمق كثيراً في التعريف إلا بالقدر الذي يوصلنا إلى تعريف يلائم دراستنا وهذه المفاهيم:

أ- الإيديولوجيا: ونحن بصدد التعرض للإيديولوجيا لا بد من الإجابة على تساؤلين هما: ما هي الإيديولوجيا؟ وهل اليهودية إيديولوجيا؟ وفي معرض الإجابة على الأول فتعتبر الإيديولوجيا كما تقول نبيلة داود لفظاً إغريقياً مكوناً من جزأين (Ideo) ويعني: ما هو متعلق بالفكر، (logos) بمعنى: علم، وبذلك تصبح الإيديولوجيا هي علم الفكرة، وقد نشأ مفهوم الإيديولوجيا مع الثورة الفرنسية ١٧٨٩، عندما عمد الثوريون الفرنسيون إلى مهاجمة الحقوق المقدسة للملك في الحكم، والتشكيك في التقاليد والطقوس الدينية، ولا سيما تلك المتعلقة بالكنيسة الرومانية الكاثوليكية، وقد صاغ مفكرو الثورة مصطلح الإيديولوجيا للإشارة إلى علم للأفكار، قائم على الانطباعات الأكثر موضوعية، المكتسبة من الواقع المحسوس انطلاقاً من الملاحظة والتجريب (٩)، وانطلاقاً من أصل اللفظ ونشأة المفهوم للإيديولوجيا السابقين، فلا بد من تعدد تعاريفها واتساع أبعادها وتشعب مفاهيمها، حتى بات من المتعذر العثور على تعريف يكاد يجمع عليه أهل الاختصاص؛ بسبب تباين ثقافات الباحثين واختلاف اهتماماتهم، مما حدا بأحد الباحثين - عبد الله العروي - إلى وصف التعريف بأنه 'مشكل' و 'غير برىء'. فعند الفلاسفة الألمان (هيجل والرومانسين بوجه خاص) تعنى: (منظومة فكرية تعبر عن الروح التي تحفز حقبة تاريخية إلى هدف مرسوم في خطة التاريخ العام) (١٠)، وأما ساركس، الذي يعتبر واضع الأسس العلمية لمفهوم الإيديولوجيا فيرى أنها: "مجموعة الأفكار والتصورات حول المجتمع التي بموجبها يعي الناس ويعبرون عن مصالحهم ومواقعهم فيه" (١١)، في حين ومن وجهة نظر اجتماعية تعرف على أنها: "نظام الأفكار المتداخلة كالمعتقدات والتقاليد والمبادئ والأساطير" التي تؤمن بها جماعة معينة أو مجتمع ما، وتعكس مصالحها واهتماماتها الاجتماعية والأخلاقية والدينية والسياسية والاقتصادية والنظامية، وتبررها في نفس الوقت (١٢)، وأما الإيديولوجيا السياسية فقد عبر عنها كارك فريدريك (Friedrich) بالقول: (هي عبارة عن انساق

الأفكار المرتبطة بالعمل، وهي ذات علاقة بالنظام السياسي والاجتماعي القائم، وتهدف إلى تغييره أو الدفاع عنه... وترمز إلى مجموعة الأفكار المتناسكة المعقولة المتعلقة بالوسائل الممكنة لكيفية تغيير أو تعديل أو الحفاظ على النظام السياسي (١٣)، والإيديولوجيا اليهودية وفقاً لهذا التعريف وطبقاً لما أراده مدونو التوراة، تعمل على تغيير وضع اليهود الاجتماعي والسياسي المهيمن والذي ولدته ظروف السبي، إلى وضع مستقر ضمن كيان سياسي واجتماعي على غرار دولة داود البائدة.

وبناءً على التعريفات السابقة، يجدر بنا الإشارة إلى عدد من الملاحظات أهمها: تبدو الإيديولوجيا على الفور وفق الإدراك الأول الذي تكرسه هذه التعريفات بمثابة منظومة من الأفكار راسخة في البنى الاجتماعية، وأن هناك علاقة مركبة بين الإيديولوجيا والواقع، فهي لا تمكسه فحسب، بل تحاول تسويغه أيضاً، والواقع ليس مجرد واقع اجتماعي مادي، وإنما واقع اجتماعي نفسي مليء بالتطلعات والآمال السياسية والحضارية والنفسية والاجتماعية.

ولما كانت تعريفات الإيديولوجيا تصل أحياناً، إلى درجة عالية من العمومية، فإننا والحالة هذه سنأخذ بالتعريف الأخير، لأنه يتفق وخط سير الدراسة وينسجم مع أهدافها. هذا إلى جانب رؤيتنا في الإيديولوجيا على أنها: "منظومة من الأفكار تولد قناعات أساسية لدى القيادات - وما ينبثق عنها بالضرورة من قرارات وإجراءات في كل مجال من مجالات النشاط الإنساني - وظيفتها تحفيز أفراد المجتمع للتغيير والتطوير لتحقيق أهدافهم". ويجب أن لا يفهم بأن الإيديولوجيا مجرد أفكار تولد قناعات فقط، بل هي تأخذ بهذا المعنى وتنعدها إلى تشكيل مبادئ وأسس، تعد بمثابة أطر وقواعد مرجعية للسلوك والنشاط الإنساني.

وأما ما يخص الإجابة على السؤال الثاني، فيبدو أن الدرجة العالية من العمومية في تعريفات الإيديولوجيا تؤكد إيديولوجية الظاهرة اليهودية، لكننا لن نكتفي بهذا فلا بد من استعراض بعض المناهج العلمية للوقوف على حدود رؤيتها لهذه الظاهرة (١٤).

فالتفسير المعرفي للإيديولوجيا (المرتبط بعصر التنوير والعقلانية)، يستند إلى نظرية حسية في المعرفة، فبإمكاننا تحديد مدى صدق أو كذب الأفكار بالرجوع إلى عالم الحواس الخمس، واستناداً لهذا التفسير، لن نذهب بعيداً في التاريخ لنجد أن الأفكار التي انبثقت عن مؤتمر بال بسويسرا عام (١٨٩٧م)، التي عاجلت واقع اليهود وتطلعاتهم في بناء دولة لهم في فلسطين، تجسدت حسيباً على أرض الواقع كما أرادوا لها. والتفسير الاجتماعي يرى الإيديولوجيا نسقاً من الأفكار التي تتشكل من خلال الواقع الاجتماعي، وأنها ليست بالضرورة حقيقية، ولكنها مع هذا قادرة على إشاعة التضامن الاجتماعي، وعلى تجنيد الجماهير وضبطها وتحريكها، فنجد الوعود التوراتية كانت وراء تجنيد اليهود

في منظمات مالية وسياسية وعسكرية... منضبطة، حركت طوابير المهاجرين إلى أرض - على حد وصف التوراة- الميعاد، ذلك الحلم الذي أصبح حقيقة ماثلة للعيان. والتفسير النفسي ركز بدوره على وظيفة الإيديولوجيا، والمتمثلة بتهدئة التوترات النفسية عن طريق رؤية جديدة، ولو عدنا إلى مرحلة السبي البابلي على سبيل المثال لوجدنا دور هذا التفسير واضحاً، إذ استطاع مدونو التوراة وبنجاح تضمين وثيقتهم -التوراة- "رؤيا الخلاص"، والتي بثت في نفوس اليهود الأماني العريضة للتخلص من واقعهم الاجتماعي المرير، نتيجة ما حل بهم من يؤس وذل وما نجم عنه من قلق وتوتر أثناء السبي وبعده.

واستناداً إلى التعريفات السابقة وبعد الوقوف على رؤية التفسيرات العلمية المختلفة، فاليهودية والحالة هذه ومن وجهة نظر الباحث، هي إيديولوجيا بصبغة دينية (توراتية) عنصرية استيطانية احلالية، وهذا ليس بالضرورة أن يكون موضع اتفاق عام عند كل الباحثين، لكون إدراكاتهم للظاهرة اليهودية متفاوتة وثقافتهم حولها متباينة، واهتماماتهم بها تتسع وتضيق تبعاً لموقفهم منها، وما تجدر الإشارة إليه أن اليهودية تختلف عن الصهيونية فالأولى عقيدة دينية والثانية حركة سياسية جعلت من الدين وسيلة لتحقيق أهدافها، وأن اللون الإيديولوجي في الظاهرة اليهودية، الذي ستعامل معه انشاقاً من محددات البحث، هو بلا شك لون ديني مستقى من الكتاب المقدس -التوراة- لدى اليهود الأمر الذي يجعل التعريف له واحداً من ضرورات البحث.

ب- التوراة:

لفظة مأخوذة من تورة، ومعناها الهدى أو الإرشاد، وهي معربة وتعني التعاليم أو الشريعة(١٥)، والتوراة في أصلها، صحف موسى عليه الصلاة والسلام وقد ضاعت في ثنايا التوراة المحرقة التي بُدئ بتدوينها في القرن التاسع، لكن المحاولات التدوينية الجادة كانت في الأسر البابلي تحديداً في القرن السادس قبل الميلاد وما بعده(١٦)، وقد دفع مدونو التوراة للتدوين حوافز ثلاث(١٧):

حاجتهم إلى تعبئة روحية عالية تسمح عن اليهود ذل عبودية الأسر البابلي والاضطهاد، وإرجاع انتمائهم إلى شخصية محترمة في المنطقة وهي شخصية إبراهيم الخليل "عليه الصلاة والسلام"، وإلحاق صفة الشجاعة والرجولة بهم وذلك بانتمائهم إلى موسى "عليه الصلاة والسلام".

وما يجدر الإشارة إليه أنها -التوراة- مؤلفة من ثلاثة أجزاء رئيسة مقسمة إلى أربعة وعشرين سفرًا، هذا لا يعني أن التوراة واحدة عند اليهود، بل هناك نسختان متداولتان بين أيديهم، واحدة لليهود العبرانيين، والأخرى للسامريين، وكل منهما تختلف عن الأخرى في عدد أسفارها وفي كثير

من نصوصها (١٨). ولم يكن الأمر عند النصارى - وهم من المؤمنين بالتوراة إيمانهم بأنجيلهم - بأفضل منه عند يهود، ذلك لأن هناك على الأقل طبعتين للتوراة "العهد القديم" واحدة تستعملها الكنيسة البروتستنتية، وأخرى تستعملها الكنيسة الكاثوليكية الأرثوذكسية، والتي تزيد عن الأولى بأسفار عدة، اعتبرها البروتستانت أسفار زائفة فضلاً عن الاختلاف في عدد اصحاحات التوراة عند البروتستانت عنها عند الكاثوليك. بل إن أسماء الأسفار نفسها كانت ولا تزال موضع خلاف بينهما، أضف إلى الاختلاف في ترتيب الأسفار عند يهود عنها عند النصارى.

لهذا، فإننا سنعمد في دراستنا عند الاقتباس أو الإشارة للعهد القديم ونخص تلك النصوص المشتركة بين كافة النسخ، التي لا خلاف عليها والمتداولة بين اليهود والنصارى على اختلاف فرقهم.

ج-الدولة: اختلف أهل السياسة والقانون في تعريف الدولة حتى فاقت التعريفات في مجموعها مائة واثنين وأربعين تعريفاً، ولا شك بأنه لو تم جمعها في كتاب لتجاوزت أوراقه المئات إلى حد الألوف في شروحاتها (١٩)، فقد قال في تعريفها الفقيه الفرنسي كاريه دي مالبرج (Carre De Mal berg) بأنها: "مجموعة من الأفراد تستقر على إقليم معين تحت تنظيم خاص، يعطي جماعة معينة فيه سلطة عليا تتمتع بالأمر والإكراه" (٢٠) وذهب الفقيه السويسري بلنتشلي (Bluntschli) في تعريفها إلى القول: "بأنها جماعة مستقلة من الأفراد يعيشون بصفة مستمرة على إقليم معين بينهم طبق حاكم وأخرى محكومة" (٢١)، وأما الرئيس الأمريكي ودرو ويلسون (Wiwilson) فعرّفها بالقول: "بأنها شعب منظم خاضع للقانون يقطن أرضاً معينة" (٢٢). وذكر ريموند كارفيلد (R. Karvild) في معرض تعريفه لها بأنها: "مجموعة من الأفراد يقيمون بشكل مستمر مستقلين بقوانينهم من أي تدخل أو تسلط خارجي، ولهم حكومة منظمة تشرع وتطبق قوانينها على جميع الأفراد داخل حدودها" (٢٣). وفي المؤلفات العربية ورد في تعريفها: "بأنها مجموعة من الأفراد يقيمون بصفة دائمة في إقليم معين تسيطر عليهم هيئة تنظم استقرارهم داخل حدودهم" (٢٤).

وعلى الرغم من الاختلاف في التعريفات السابقة، إلا أن هناك سمة مشتركة بينها، ألا وهي الاتفاق من حيث المبدأ على أركان الدولة الثلاث: الأرض والسكان والسلطة. واستناداً لما سبق وبدورنا، فإننا نرى في الدولة أنها: "ذلك التنظيم الذي تتحد فيه العناصر الثلاث الأرض والسكان والسلطة السياسية".

والملاحظ أن المعرفين لم يشترطوا توافر رباط القومية كعنصر من عناصر الدولة، - لا ننظر للقومية في هذه الدراسة كإيديولوجيا - لأن نشأة الكثير من الدول عندئذٍ، ستعارض مع نظرهم

الفقهية، فلو أخذنا الولايات المتحدة مثلاً، فنجد عنصر السكان شكلته جحافل الأنجلو ساكسون والجرمانيين المنحدرين من جنسيات عدة والمنتمين لأكثر من ثلاثة عشر مجموعة بشرية متميزة الواحدة عن الأخرى ولكل منها ولاءاتها، لا تجمع بينها - باستثناء عامل الدين - روابط القومية (٢٥)، وهذا يندرج على الدولة اليهودية في فلسطين اليوم، فقد انحدر سكانها من مختلف أنحاء العالم.

إن الاختلاف في القضايا الأخرى مثل السيادة والحكومة من حيث اعتبارها من العناصر الأساسية للدولة، ما هي إلا اختلافات شكلية لا تتعدى إلى المضمون، وفي معرض سير البحث سنراعي مواقع عناصر الدولة الثلاث المشار إليها.

ثانياً: الإيديولوجيا اليهودية ومقومات الدولة الأساسية:

نادت الحركة الصهيونية منذ قيامها بإنشاء دولة يهودية تجمع شمل اليهود المشتتين في كافة أنحاء المعمورة، وبهذا التقت الحركة الصهيونية بالديانة اليهودية؛ لكون الأولى دعوة لليهود من أجل العودة إلى فلسطين وبناء الهيكل بعد إقامة وطن قومي لهم فيها، والثانية دين يستند إلى التوراة المليئة بالمشاعر ذاتها، وبهذا يكون الأساس الذي ارتكزت عليه إسرائيل الفكرة وإسرائيل الدولة ديني الصفة والهوية. لقد عملت الحركة الصهيونية على توليد قناعات إيمانية لدى العاملين اليهود في مختلف مجالاتهم وتخصصاتهم بضرورة العمل على قيام دولة خاصة بهم، معتمدة في ذلك على الكتاب المقدس بشكل عام، وعلى وعد الرب ورؤيا الخلاص في ذات الكتاب بشكل خاص، وذلك لإضفاء طابع القدسية على عملهم، طمعاً في مشاركة الجميع لرفع كثافة التفاعل اليهودي، وتوجيه سلوك معظم المؤمنين بالكتاب المقدس للعمل معاً، إذ إن انطلاقة الحركة من هذا المبدأ نابع من إدراكها المسبق، بأن أهدافها لا تتحقق إلا إذا رسخت ما تدعو إليه في أذهان اتباع الكتاب المقدس، لذا فقد اعتمدت على فكرتين إيديولوجيتين محوريّتين، اعتبرنا بمثابة مرجعية لها تحكمان فكرها وفكر أتباعها السياسي وهما: وعد الرب ورؤيا الخلاص اشتملت كل فكرة منها على مقومات - عناصر - الدولة.

١- وعد الرب وعناصر الدولة:

يشكل وعد الرب أحد القواعد الأساسية لمرجعية الفكر السياسي اليهودي، والناظر في وعود إله بني إسرائيل لأنبيائهم، يجد عناصر الدولة الثلاثة متحققة بأبعادها السياسية وبالصورة التي تتفق وآراء فقهاء القانون والسياسة وهذه العناصر هي:

(١) عنصر الأرض: تتحدد فلسطين بدايةً في أول وعد قطعه إله إسرائيل (٢٦)، بإعطاء أرض كنعان لإبراهيم وذريته بالقول: " وظهر الرب لإبراهيم وقال: (لنسلك أعطي هذه الأرض) (٢٧)، والتي هي أرض غريبة له باعتراف الرب بالقول: (أعلم يقيناً أن نسلك سيكون غريباً في أرض ليست لهم) (٢٨)، وظهر الرب مرة أخرى ليعطي إبراهيم وثيقة تمليك الأرض التي يريد بعد انتزاعها من أهلها الأصليين واحلال إبراهيم وذريته بدلاً منهم (٢٩)، وهم أقوام عدة: "القينين والقنزيين والقدمونيين والحثيين والفرزيين والرفائيين والأموريين والكنعانيين والجرجاشيين واليبوسيين" (٣٠)، وهذا يدعونا إلى القول: بأن أيديولوجية الاحلال نادى بها (يهوه) قبل أن تنادي بها الحركة الصهيونية، تلك الإيديولوجيا القائمة في هذا المقام على تهجير أهل البلاد الأصليين قسراً. وحمل وعد الرب اللاحق لإبراهيم تحديداً مبدئياً للأرض الموعودة بقوله: "ارفع عينيك وانظر من الموضع الذي أنت فيه شمالاً وجنوباً وشرقاً وغرباً، لأن جميع الأرض التي أنت ترى لك أعطيها ولنسلك للأبد" (٣١)، ولما كان الرب قد فاته أن إبراهيم محدود البصر، ولا يكاد يرى إلا مساحة صغيرة اقتضت إرادته عندها بالعودة إليه ويوعده جديد قال فيه: "أعطي لك ولنسلك من بعدك أرض غربتك كل أرض كنعان ملكاً أبدياً" (٣٢)، إن مشيئة الرب والحالة هذه لا تتصف بالثبات لهذا عاد إليه وأعطاه مزيداً من الأرض مضروبة الحدود وراسخة الجذور في التاريخ بقوله: "لنسلك أعطي هذه الأرض من نهر مصر إلى النهر الكبير نهر الفرات" (٣٣)، ولكنه ما لبث فترة حتى عدّل الحدود وجعلها مفتوحة وهذا قوله: "كل مكان تدوسه بطون أقدامكم يكون لكم" (٣٤)، ثم توالى الوعود من بعد إبراهيم على إسحاق ويعقوب وموسى (٣٥).

إن أرض الميعاد التي تستند إليها الصهيونية، مضروبة الحدود معروفة المعالم في التوراة، على الرغم من أنها تستند إلى ذكر أسماء وأماكن انقرضت وأصبحت غير معروفة جغرافياً، لكنها ستبقى في الذاكرة مرجعية للفكر السياسي الصهيوني، الباحث عن إمكانية قيام الدولة وتوسيعها كلما اقتضت الحاجة. وعلى ضوء الوعود السابقة نتساءل: لماذا وعد الرب بتمليك اليهود أرضاً ليست لهم وهي مأهولة بالسكان؟ أما كان باستطاعته أن يجد لهم أرضاً وهو الخلاق، ويلحق ملكيتها بهم ويفجر بها أنهاراً وينابيعاً من عسل ولبن ويقدمها هدية لشعبه الخاص!!! وما هو القصد الإلهي بتعديل الحدود بين حين وآخر؟ أليس لهذا دلالة على ارتباط الحدود بالمطامع الصهيونية وإرضاء لشهوة الاستيلاء على أرض الآخرين؟

(٢) عنصر السكان: لقد أخذ إله بني إسرائيل على نفسه عهداً، بزيادة نسل إبراهيم صاحب الوعد الأول بالقول: " واجعل نسلك كتراب الأرض" (٣٦)، وأكد هذا لإسحاق من بعد أبيه عندما قال:

"وأكثر نسلك كنجوم السماء" (٣٧). وهذا النسل هو شعب الدولة والملاحظ في الوعدين أن (يهوى) الإله أخذ على عاتقه الكثرة في نسلهما، ويمكننا الإشارة هنا إلى أن الكثرة في عدد السكان كما أشار (يهوى) لا يشترط كي تقوم الدول على رأي فقهاء القانون الدولي ومنظرو السياسة، بيد أنه كلما كان عدد السكان كبيراً أدى إلى قوة الدولة ومنعتها فتخشاه الدول الأخرى، وهذا في اعتقادنا ما أراده مدونو التوراة دولة يهودية قوية، استثمرتها الصهيونية استثماراً واسعاً في مسعاها لإقامتها.

وفي الوقت الذي لا يشترط فيه فقهاء القانون الدولي ومنظرو السياسة في سكان الدولة، أن ينحدروا من جنس بشري واحد، إذ لا تستطيع دولة من الدول في الوقت الحاضر الادعاء بأن شعبها ينتمي إلى سلالة واحدة بعدما حدث من هجرات طوال تاريخ البشرية (٣٨)، نجد مدوني التوراة كما أشارت إليه الوعود السابقة قد حصروا السكان بذرية إبراهيم، وهذا ينطوي على بعد عنصري للدولة المنوي إقامتها، وما لا يدانيه شك، أن الدولة التي ينتمي سكانها إلى ذرية واحدة أو جنس واحد، تقوم على أساس متين قوامه روح الترابط والاتحاد التي تجمع بين أفرادها، والتي تبعث في نفوسهم الرغبة في العيش معاً، فيتميزون بذلك عن غيرهم من الجماعات البشرية، بخلاف الدول التي يتكون سكانها من عدة أجناس - قومياً - إذ تكون ضعيفة البنيان وعرضة للتفكك والانحلال، لأن أسباب الخلاف سرعان ما تطفو على السطح، فتعصف بقوة الدولة وتذهب منعها، إن نظرية وحدة الجنس في تشكل سكان الدولة التي جاءت بها التوراة، روعيت أيضاً في سكان الدولة بعد الشتات والذي يتوج يوم الخلاص للشعب اليهودي من عذاب الأسر ومر السبي، وجاء هذا تحت أسماء كثيرة كتلك المنادية بنقاء الدم اليهودي والذي يقتضي تهجير الأغيار من الدولة.

(٣) عنصر السلطة السياسية: السلطة السياسية في نظر مدوني التوراة تعطى لأولي القوة والبأس، وتنحصر في الأنبياء وسلالاتهم، ومنبع ذلك خطاب الرب لداود بالقول: "وأنا الرب أكون لهم إلهاً، وعبيدي داود رئيساً في وسطهم" (٣٩)، وفي موطن آخر يخاطب داود بالقول: "أنا أخذتك من المربض من وراء الغنم لتكون رئيساً على شعبي إسرائيل" (٤٠)، وذهبوا إلى أبعد من هذا، فآلقوا عباءة النبوة على كل من يساعدهم، لكون اليهود يعتقدون أن عهد الأنبياء لم ينقض بعد، فعندما ساعدهم كورش الفارسي في العودة إلى فلسطين أعطوه نصيباً من النبوة والرئاسة فخاطبه الرب - على حد تعبير مدوني التوراة - بالقول: "هكذا يقول الرب لمسيحه كورش الذي أمسكت بيده لادوس أمامه أمماً" (٤١)، وهكذا، فإن رأى بعضهم أن هرتزل "موسى جديداً" (٤٢) أو "يوشع آخر" (٤٣) أو "المسيح المنتظر" (٤٤). فإن غيرهم رأى في "بن غوريون" "نبياً جديداً"، وفي "وايزمن" كذلك، حتى أن الكثير منهم يفضلون أنبياء اليوم على أنبياء الأمس، وهذا ما نلجده في قول

أرملة وايزمن حيث قالت: "إن موسى احتاج إلى أربعين سنة ليصل بيني إسرائيل إلى أرض الميعاد، أما حايم وايزمن فلم يحتج إلى أكثر من ثلاثين سنة ليفعل ذلك" (٤٥).

لذا فالحياة اليهودية لا تزال تقطر بقوافل الأنبياء، وستبقى حتى يأتي المسيح ثانية ويقيم ملكه - كما يعتقدون- في أورشليم، وقد اشترطوا لعودته استعادة إسرائيل كشعب مختار لأرضه الموعودة، وحتى يأتي ذلك اليوم، لا تسلم القيادة إلا للأنبياء، أو ممن هم على شاكلتهم من القوة والمنعة والصلابة في العقيدة وقوة القومية، وهذا بات موضع تأييد من قبل أهل الفكر والسياسة معاً، ولا خلاف فيه عند يهود (٤٦).

الملاحظ أن مدوني التوراة خططوا الإطار الأيديولوجي للعقيدة السياسية اليهودية، ومنظرو الحركة الصهيونية رسموا ذات الأيديولوجيا بداخله، عند ربطهم النص التوراتي بالرأي الفقهي والسياسي لنشأة الدول، واستحضارهم لعناصر الدولة الثلاث: الأرض والسكان والقيادة السياسية في مقطوعاتهم التوراتية.

٢- رؤيا الخلاص وعناصر الدولة:

الحديث عن يوم الخلاص اليهودي هو الحديث عن ذات التوراة تلك التي تحدثت عن وعد الرب، فإذا كان الوعد تحدث عن عناصر الدولة في النشأة والقيام تحدثت رؤيا الخلاص هي الأخرى، وتعرف بأنها: "النجاة من الشر أو الخطر مما حل باليهود من سوء الحال بعد النفي والشتات، ولا يتم هذا إلا بالعودة مرة ثانية إلى المكان الذي شردوا منه" (٤٧). وقد انبثقت الرؤيا بعد أن شتت الآشوريون (٤٨) ثم البابليون (٤٩) يهود من فلسطين، وأذاقوهم العذاب المهين، ودمروا مساكنهم وجعلوها ركاماً وأكواماً من الأنقاض، ونفوهم إلى العراق وأماكن أخرى (٥٠)، راحوا يحلمون بعدها بالعودة إلى "أرض الميعاد" من أجل وضع حد لمعاناتهم، وكان كتبة العهد القديم من البراعة، أن جعلوا من هذه الأحلام نبوءات تعمّر صدور يهود بالآمال آمال العودة إلى فلسطين الموعودة، وبذلك وفقوا بين الرؤيا السياسية للصهيونية اليهودية والصهيونية المسيحية من أجل تحويل فلسطين إلى دولة يهودية، تحولت آمالهم فيما بعد إلى قناعات تمحورت حول فكرة التخلص من عذاب النفي والعودة إلى حيث شتتوا، استثمر قادة يهود ذلك، فعمقوا في صدور يهود الآمال، ونشروا في نفوسهم الأمانى انطلاقاً من الوعد بيوم الرجاء الآتي، وهذا هياً في أذهان اتباع اليهودية القبول لفكرة المسيح المخلص، الذي يأتي وينقذهم من الهوان، ويعيد لهم مجد ملكهم داود وسليمان الغابر.

إن خلاص الشعب اليهودي حسب رؤيتهم العقائدية له دلالتة الخاصة لدى منظري الحركة

الصهيونية، إذ إنها تخدم ناحيتين تصب في مسيرة الحركة وتسهم في تحقيق أهدافها وهما:

(١) الناحية الدينية: إن النصوص التي تملك قدسية خاصة تملك على الإنسان ليه، فيشعر بالاطمئنان لها، ولا يجد بدأ من الانقياد والتسليم بها، يأتي هذا كله من كونه يرى بها آتية من سلطة علوية تراعي مصالحه وتخدمها، عندها لا يجوز مناقشتها أو الخروج عليها حتى لا تلحق به أوصاف ممن يستحقون العقاب جزاء الخروج، أضف إلى تبؤها قناعة لدى المؤمنين بها تجعل من تحقيقها أمراً آت لا محالة.

(٢) الناحية السياسية: ظهرت براعة مدوني التوراة عند تحميلهم النص الديني أبعاداً سياسية، أحوج ما يكون إليها السياسي لمخاطبة العاطفة وتطويع أصحابها لخدمة أهدافه، فمنظرو الحركة الصهيونية تنبهوا لها واستثمروها خير استثمار، فتزواج الجانبين الديني والسياسي لخدمة بعضهما يعني استواء المعادلة وتوازن طرفيها، فمعادلة التزاوج الخدمي تحققت في رؤيا الخلاص، فقد تضمنت مقطوعاتها التوراتية هي الأخرى عناصر الدولة الثلاثة وعلى النحو التالي:

١- عنصر الأرض: أرض الدولة بعد الشتات وتحقق الخلاص هي نفس الأرض التي نصت عليها وعود (يهوى) إله بني إسرائيل لأنبيائهم، والمتثلة بأرض كنعان (فلسطين)، وهكذا يقول الرب: 'وآتي بهم - من الشتات - فيسكنون في وسط أورشليم ويكونون لي شعباً وأنا أكون لهم إلهاً' (٥١) ويقول في موطن آخر: 'وارجعهم إلى الأرض التي أعطيت آبائهم إليها فيمملكونها' (٥٢). فالوعد الأول أشار إلى السكان، وأشار كذلك إلى أرض الدولة بعد الشتات.

٢- عنصر السكان: إن سكان الدولة بعد تحقيق الخلاص يكونون من جمع بقية أولئك المشتتين من بني يهود في أطراف الأرض، وفي هذا قول الرب: "ويكون في ذلك اليوم أن السيد (يهوه) يعيد يده ثانية ليقبض بقية شعبه التي بقيت من آشور ومن مصر ومن فتروس ومن كوش ومن عيلام ومن شنعار ومن حماة ومن جزائر الأمم، ويرفع راية للأمم، ويجمع منفي إسرائيل ويضم مشتتي يهودا من أربعة أطراف الأرض، وينقضان على أكتاف الفلسطينيين غرباً وينهبون بني المشرق معاً، ويكون على أدوم ومؤاب امتداد يدهما وبنو عمون في طاعتهما" (٥٣)، ويقول الرب في موطن آخر: "هكذا قال رب الجنود: هاأنذا أخلص شعبي من أرض المشرق، ومن أرض مغرب الشمس" (٥٤) ويقول: "أصفر لهم واجمعهم لأنني قد فديتهم وأرجعهم من أرض مصر واجمعهم من آشور". (٥٥) وها هنا إشارة أيضاً إلى بقاع الأرض، التي تفرقوا فيها بعد السبي.

٣- عنصر القيادة السياسية: إن حياة السبي التي عاناها اليهود عمقت في نفوسهم عقدة الحقد

والكرهية للشعوب، كل الشعوب، ولم يبق لهم ما يُروي غليلهم، سوى اعتقادهم بمجيء المسيح، لينتقم لهم من أمم الأرض، وكانت رؤياهم عن المسيح المنتظر ملكاً من نسل داود، مملكته في الدنيا يأتي ليخلص اليهود المشتتين في أقطار الأرض، ويعيدهم إلى أرض فلسطين ويخضع الشعوب لسيطرتهم، وقد لبثوا دهرأ يتخيلون المسيح الموعود ملكاً صاحب عرش وتاج يفتح بالسيف فلسطين، ويعيد فيها مجد دولتهم الزائلة، ويعتبرون الآلام والمصاعب التي يكابدونها عبر مسيرتهم التاريخية بعد السبي، تفسر على أنها الآلام التي تسبق المسيح المنتظر، فمجيء المسيح اليهودي الملك الذي سيحارب أعداء اليهود، ويبني لهم مملكة أرضية، ويرفع لهم مجداً كبيراً، يعني هذا كله تجديداً للعالم. وأما عاصمة ملكه، فقد حرص مدونو التوراة على أن تكون القدس وبالنص: "الرب اختار صهيون واشتهاها مسكناً له" (٥٦)، فعندما يريد الرب لا يجوز لشعبه أن يختاروا أرضاً مغايرة لإرادته، وهذا الاختيار للقدس يقودنا إلى القول: إنها ليست عاصمة سياسية فحسب، وإنما هي عاصمة دينية التي لا يمكن للإله أن يستقر أو يسكن أو يعبد إلا فيها.

إن أهمية رؤيا الخلاص ودورها في إقامة الدولة وتعميرها، أكدها زعماء الحركة الصهيونية، فهذا بن غوريون يقول: "من العسير أن نفهم كل شيء حدث في أيامنا، من إعادة تعمير الدولة اليهودية، إلى هجرة عشرات الألوف من اليهود، الذين لم يسمعوا قط بأسماء هس وبنسكر وهرتزل، وربما لم يسمعوا باسم الصهيونية، دون أن نأخذ بعين الاعتبار رؤيا الخلاص على يد المسيح المنتظر، التي تنفوس عميقاً في قلب الشعب اليهودي" (٥٧). وعندما قامت دولة يهود عام ١٩٤٨ أكد هذا الزعيم الصهيوني دور رؤيا الخلاص في إقامة الدولة والحيلولة دون فناء الشعب اليهودي بالقول: "إن ما ضمن بقاء الشعب اليهودي عبر الأجيال، وعلى مر العصور، وأدى إلى خلق دولة إسرائيل، هو تلك الرؤيا المسيائية لدى أنبياء إسرائيل، ورؤيا خلاص الشعب اليهودي والإنساني قاطبة" (٥٨)، إن الحديث عن أهمية رؤيا الخلاص لا ينسينا الحديث عن أهمية التوراة، فقد أكد زعيم عصبة الدفاع اليهودية الحاخام مثير كاهانا - عضو كنيست سابقاً - هذا بالقول: "لا يمكن التمييز بين الدولة وبين التوراة، إسرائيل لم تقم بفضل قرارات الأمم المتحدة بل بفضل التوراة" (٥٩).

ومما سبق نجد أن وعد الرب ورؤيا الخلاص، شكلتا الإطار المرجعي للقناعات الأساسية التي صاغت الإيديولوجيا النهضوية في الفكر اليهودي، وجمعت اليهود على مختلف الصعد، لتوجيه قوى التحريك لإنجاز الأهداف واحتواء الضغوط والمعوقات التي تحول دون ذلك. وتحققاً لذلك، فقد عمد اليهود إلى غزو البيئة الغربية بإيديولوجيتهم، لخلق قاعدة إيمانية هناك تؤمن بفكرهم وتعمل لصالح تحقيق أهدافهم.

ثالثاً: الإيديولوجيا اليهودية والبيئة الغربية:

إن الإيديولوجيا التي عملت بموجها الحركة الصهيونية إيديولوجيا نهضوية متحركة، بثوب عقائدي ديني محورها التوجيه الإلهي بصبغته التوراتية، وما يميز سلوكها منذ القدم الاستعانة بمراكز القوى في العالم لتحقيق أهدافها، فعندما برزت دول أوروبا والولايات المتحدة فيما بعد كلاعبة قوية على المسرح الدولي، انجذبت إليها الحركة متسللة إلى بيتنها مستثمرة العلاقة الوطيدة بين التوراة والإنجيل، ومتسلحة بمقولات إيديولوجية كتلك التي ترى بالمسيح يهودي جاء ليكمل ما بدأه أنبياء التوراة (٦٠)، والمسيحية شديدة الارتباط باليهودية، أو قل هي استمرار لها، واليهود شعب الله المختار، وأن المسيحية حركة ظهرت في تجربة اليهود التاريخية، وعودة اليهود إلى فلسطين علامة على اقتراب العودة الثانية للمسيح وغيرها من هذه المقولات، وفي هذا المقام لا بد من التعرف إلى الكيفية التي سلكتها الإيديولوجيا اليهودية للوصول إلى البيئة الغربية ومدى النجاح الذي حققته هناك.

١. تسلسل الإيديولوجيا اليهودية للبيئة الأوروبية:

لقد بدأ التسلسل دينياً من خلال حركة الإصلاح الديني البروتستنتي، الذي يعتبر ظهورها في القرن السادس عشر بداية لتاريخ العلاقات المسيحية - اليهودية، فقد تداخلت في هذه الحركة الأساطير الصهيونية التي تسربت إليها نتيجة التفسيرات الحرفية للتوراة، مما أدى بالكنيسة البروتستنتية السماح لأتباعها بحقوقهم المتساوي في فهم الكتاب المقدس، ويبدو أن البروتستنتية ما كانت لتنمو دون معرفة كتاب العهد القديم (Old Testament) (٦١)، وهو كتاب مقدس لدى اليهود والنصارى على حد سواء، كما ساهم في زيادة معرفة أتباع الكنيسة البروتستنتية - الإنجيلية - بتعاليم التوراة، أمر الملك هنري الثامن ملك إنجلترا عام (١٥٣٨) والمتأثر بتعاليم كنيسه بترجمة التوراة للغة الإنجليزية ونشرها، وإتاحتها للقراءة من قبل العامة، وأطلق على النسخة المترجمة اسم "التوراة الوطنية"، وهذا من شأنه وضع اليهودية تاريخاً وعادات وقوانين كجزء من الثقافة الإنجليزية، وجعلها ذات تأثير على مدى القرون اللاحقة في العقلية الإنجليزية حكماً ومحكوماً (٦٢).

إن ترجمة التوراة فتح الباب على مصراعيه أمام اللغة العبرية، وسهل عملية الأخذ بها، باعتبارها لغة التوراة، فاحتلت مكانة متقدمة إلى جانب اللغات الأوروبية الأخرى: كالإنجليزية والفرنسية واللاتينية واليونانية، لكون الإصلاحيين اعتبروها ضرورية لفهم محتوى التوراة، وساهمت هي الأخرى في تشكيل جزء من ثقافة الأوروبي، الذي أصدر فيما بعد منشوراته وعرائضه وكتبه ومؤلفاته التي تتحدث عن شعب الله المختار والأرض الموعودة وجبل صهيون كما أرادت الحركة الصهيونية، التي

بدورها شجعت وبقوة على الأخذ بالعبرية هناك من خلال إدخالها معامل الطباعة (٦٣). إن التعامل بالعبرية يتفق ومبادئ مؤسس حركة الإصلاح الديني البروتستانتية (مارتن لوثر) (١٤٨٣-١٥٥٥) (٦٤)، الذي دعى في بداية حياته إلى دراسة العبرية، والتركيز على دور التوراة في الحياة المسيحية، لقد أدى هذا التغلغل في أوساط الحياة الأوروبية، ودخولها ميدان الدراسات الجامعية، إلى تخريج العديد من الدارسين لها، قاموا بعدها بترجمة التوراة وإضافة شروحات تتفق وهوى الحركة الصهيونية.

٢. هجرة الإيديولوجيا اليهودية للبيئة الأمريكية:

بعد اكتشاف العالم الجديد (New World) عام ١٤٩٢م (٦٥)، رحلت الأصولية المسيحية (٦٦) إلى أمريكا منذ البدايات الأولى للاستيطان الأوروبي هناك، فقد حمل المهاجر الجديد معه القناعات الأوروبية واللغة العبرية، وأعطى أولاده والمدن التي يعيش فيها أسماء يهودية، وأول كتاب ترجمه المهاجر الجديد يهودي العنوان، وهو سفر المزامير التوراتية (٦٧). كما حمل معه اللغة العبرية، فدخلت ومعها الدراسات اليهودية في برامج جامعة هارفارد التي أنشئت عام ١٦٣٦م، وكانت أحد الموضوعات الإجبارية في الجامعة (٦٨)، وفي أوائل القرن التاسع عشر صدرت مجلة يهودية اعتبرت أصل الصحافة الأنجلو - يهودية في الولايات المتحدة (٦٩)، كما صار المستوطنون على حد قول أحد المؤرخين "النموذج الروحي للعهد القديم العبري" (٧٠)، ورمى هؤلاء بثقلهم الاقتصادي والسياسي في خضم المجتمع الأمريكي، ورموا معه كل ما تحمله كتبهم الدينية والسياسية من نزعات وأفكار وقصص وحكايات العهد القديم، أدى هذا إلى خلق قاعدة فكرية عند الرأي العام الأمريكي، تؤمن بصحة ذلك كله، استثمارها الحركة الصهيونية، ونجحت في ذلك لتحقيق مكاسب لها، لأن المجتمع الأمريكي البدائي كان يخلو آنذاك من القيم الحضارية والإنسانية، الأمر الذي جعل منه أرضاً خصبة لتقبل كل جديد.

إن نجاح الغزو الإيديولوجي اليهودي للبيئة الغربية يمكننا إبراز آثاره على صعيدين أساسيين هما:

(١) الجانب الديني: لقد نجحت الصهيونية بالتسلل إلى الهيئات الدينية المسيحية في الغرب، ويتضح هذا بما يجري على خريطة الكنيستين البروتستنتية والكاثوليكية، فقد استطاعت الحركة كسب مودة رجال الدين هناك، وأصبحوا بوقاً إعلامياً يرددون المقولات اليهودية، والمقطوعات التوراتية، وفي هذا نجد:

أ- الكنيسة البروتستنتية: إن التغلغل والتأثير اليهودي في صفوف أتباع هذه الكنيسة (٧١)، كانا

كبيرين، إلى حد تقدم خمسة آلاف قسيس بروتستنتي أمريكي يطلب إلى حكومتهم؛ من أجل التدخل لإباحة الهجرة اليهودية إلى فلسطين دون قيد أو شرط، كما أن هناك بعض الدراسات التي تؤكد أن ١٥٪ من القساوسة البروتستنت (٧٢)، الذين يقومون بالوعظ في الكنائس أيام الآحاد وفي الأعياد النصرانية، هم من اليهود الذين اعتنقوا البروتستنتية (٧٣)، ويركزون فيها على ضرورة عودة اليهود إلى أرض الميعاد، وهذا يجعلنا أكثر مقدرة على تفسير تبني هذه الكنيسة وأتباعها الادعاءات اليهودية المستقاة من التوراة مثل: شعب الله المختار، وأرض الميعاد (٧٤)، وإعادة بناء الهيكل، وقدم المسيح المخلص ونحو ذلك، لكون هذه الكنيسة تستخدم العهد القديم (التوراة) لأداء طقوسها الدينية الكنيسية، ونادراً ما تستخدم العهد الجديد (الإنجيل) على عكس الطوائف النصرانية الأخرى، التي نادراً ما تستخدم التوراة على الرغم من إيمانها بالكتاب المقدس كله (٧٥).

ومن الدلالات الأخرى على عمق التأثير اليهودي في صفوف أتباع الكنيسة البروتستنتية، ذهاب (هوفين) المتحدث باسمها إلى القول: "إننا صهاينة أكثر من الإسرائيليين" (٧٦)، وإصدار الكنيسة الانجليكانية (البروتستنتية بياناً باسم أربعين مليون انجليكاني أمريكي جاء فيه: "إننا المسيحيين الانجليكان نؤكد إيماننا، بأن أرض الميعاد هي لليهود منذ أول عهد أعطي لإبراهيم، كما جاء في الكتاب المقدس" (٧٧)، وذهبوا إلى أبعد من ذلك، فقد أنشأوا أكثر من مئتين وخمسين مؤسسة نصرانية مؤيدة للصهيونية في الولايات المتحدة، وأقامت لها فروعاً في الخارج، لجمع التبرعات وبعثها إلى إسرائيل حبا في التعجيل بالعودة الثانية للمسيح إلى الأرض، وحكم العالم من القدس ألف سنة (٧٨)، لقد نشط أتباع هذه الكنيسة، فركز الباحثون منهم في بحوثهم الدينية والتاريخية على كتاب العهد القديم، فأبدوا استعدادهم للعب دور الشريك الفعال في الأحداث لصالح الصهيونية العالمية، وأخذوا كرجال دين ومنظمات دينية بالضغط على حكوماتهم للوقوف إلى جانب اليهود، فاستجابت الحكومات لذلك، لكون العلاقات الدولية تتأثر بقدر من التصورات غير العقلانية؛ لأن مسلك الناس مرتبط لا بمصلحتهم الموضوعية، بل بالفكرة التي كونوها عن هذه المصلحة.

ب- الكنيسة الكاثوليكية: كان موقف الكنيسة الكاثوليكية ممثلة بمركزها الديني في الفاتيكان في بادئ الأمر (٧٩)، أكثر اعتدالاً من سابقتها على الرغم من إيمانها بنفس كتابها المقدس، فعارضت الحركة الصهيونية بدايةً في مطلبها القاضي بتسهيل الهجرة إلى فلسطين، كما وقفت الكنيسة الكاثوليكية في أمريكا موقفاً غير محبذ لإقامة وطن قومي لليهود فيها، وقد لفت هذا الموقف غير المرغوب فيه أنظار منظري الحركة الصهيونية، فوجدوا من الضروري كسب مساعدة هذه الكنيسة وتجنيدتها في صفوفهم، حتى ولو أدى ذلك إلى تغيير اليهود ديانتهم إلى المسيحية، لقد خدم هذا

التوجه فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية، نتيجة ما نشر عن معاناة اليهود أثناء الحكم النازي، فسرى انطباع لدى أتباع الكنيسة الكاثوليكية الأمريكية، أن اليهود يستحقون المساعدة للتخلص من الأخطار التي تحيط بهم، وكانت هذه فاتحة الطريق لقبول فكرة العطف على الألماني اليهودية، التي تعدّ الهجرة إلى فلسطين وإقامة وطن قومي لهم من صميم هذه الأماني، وكان الأكثر تحمساً للترويج لها والعمل لصالحها من أتباع هذه الكنيسة، في أكثريتهم السياسيين الذين وجدوا استمرارهم السياسي مرهون بتأييد البرامج الصهيونية (٨٠).

ففي الوقت الذي لم تعلن الكنيسة الكاثوليكية موافقتها على وعد بلفور عام ١٩١٧، وعدم الاعتراف بدولة يهود من قبل الفاتيكان، والكنيسة الكاثوليكية الأمريكية أيضاً، استطاعت الصهيونية قلب الموازين باستغلالها نار الحرب الباردة بين الشرق والغرب، فسخرت أولئك المتحمسين للأماني الصهيونية من أتباع الكاثوليكية، لمهاجمة الشيوعية بحملات منظمة قادها الستاتور (جوزيف مكارثي) (J. McCarthy)، والمتحدث باسم الكنيسة في مجال الهجوم على الشيوعية رئيس الأساقفة الكاردينال (سيلمان) (Spelman)، الذي بدوره رأى في إسرائيل دولة ضد الشيوعية، وأن الاتحاد السوفيتي ومن يدور في فلكه من الدول الشرقية تزود العرب بالأسلحة (٨١)، الأمر الذي ترتب عليه توجيه البابا دعوة لقبول دولة يهودية عضواً بهيئة الأمم المتحدة، وصوتت دول أمريكا اللاتينية إلى جانب قرار القبول بناءً على رغبة البابا آنذاك - وهي دول كاثوليكية تأتمر بأوامر الفاتيكان (٨٢). لقد خطت الكنيسة الكاثوليكية بزعامة الفاتيكان خطوات أكثر تقرباً من اليهود، توجت بإعلان البابا (بيوس الحادي عشر) بعدم اشتراك المسيحيين في الموجه المعادية للسامية (٨٣)، وإصداره قراراً بتغيير فقرة تتردد في ترانيل صلاة الجمعة الحزينة تقول : " فنصلي من أجل اليهود الغدارين " إلى " فنصلي من أجل اليهود غير المؤمنين "، وزاد في التقرب أكثر عندما جاء البابا (يوحنا الثالث والعشرون)، فأصدر هو الآخر قراراً بحذف هذه العبارة نهائياً من الصلاة، وعند زيارة البابا (بولس السادس) فلسطين المحتلة وقف يصلي من أجل اليهود المساكين في الاتحاد السوفيتي (٨٤).

إن التأثير اليهودي في صفوف أتباع هذه الكنيسة، لم يقف عند هذا الحد بل ذهب إلى أبعد من ذلك، ففي الستينات من هذا القرن، انصبت الضغوطات من داخل هذه الكنيسة وبتوجيه يهودي من خلال أتباعها، وخصوصاً أولئك المتحمسين منهم، الأمر الذي نتج عنه تكليف الكاردينال (بيا) عام ١٩٦٠ إعداد مسودة نص مجمعي، يزيل عن اليهود تهمة (قتل الله) (٨٥)، تبع ذلك إصدار وثيقة عن المجمع المسكوني ب تبرئة اليهود من دم المسيح - عليه الصلاة والسلام - (٨٦)، وكان هذا فاتحة عهد جديد في العلاقات اليهودية - المسيحية الكاثوليكية، فأخذ ينظر الكاثوليك لليهود بأنهم شركاء في

عقيدة واحدة، وهذا ما خاطب به البابا (يوحنا بولس الثاني) اليهود قائلاً: "إن الطائفتين - اليهودية والمسيحية - مرتبطتان بالعقيدة الدينية، وإن مستقبلنا معاً هو عبر الحوار الأخوي والتعاون المثمر (٨٧)، ونادى إلى تعميق الحوار بين الكنيسة الكاثوليكية واليهود، وفي خطاب له أمام أربعين خبيراً يمثلون خمس عشرة دولة في مؤتمر الأساقفة الكاثوليك جاء فيه: "لقد كان في الماضي أنواع من سوء الفهم والأخطاء بين الكاثوليك واليهود، ويجب التغلب على ذلك بالتفاهم والاحترام المتبادل والسلام" (٨٨).

إن الاختراق اليهودي للفاتيكان ومؤسساته أثمر أيما إثمار، وتوج ذلك بصدر وثيقة رسمية أخرى عن لجنة الفاتيكان عام (١٩٨٥م)، برأت اليهود في الأجيال كلها من دم المسيح عليه الصلاة والسلام، وتضمنت تعليمات مشددة لرجال الدين الكاثوليك والكنائس والمؤرخين والمدرسين وقطاعات الكنيسة الكاثوليكية كافة بشأن التعامل مع اليهود، وتلاوة الصلوات الكاثوليكية بشكل يضمن عدم التعرض لهم (٨٩)، ويأتي إصدار هذه الوثيقة بناءً على تعاليم المجمع الفاتيكاني الثاني (٩٠). وفي سابقة لم يشهد لها التاريخ مثيلاً من قبل، قام البابا يوحنا بولس الثاني - بابا روما - بزيارة لكنيس اليهود في روما أعرب عن أسفه العميق للإهانات والاضطهادات والعزل، الذي تعرضوا له عبر القرون، فضلاً عن حرمانهم من حق العبادة على أيدي النصارى وغيرهم (٩١).

وهكذا تمكن اليهود من النيل من العقيدة الكاثوليكية في كل ما يتعلق باليهود واليهودية، فكان التحول بالمواقف والعطف على الأماني، وحذف عبارات الإساءة لهم من الطقوس والصلوات، ومن ثم التبرئة من أبرز نتائج الغزو الإيديولوجي للبيئة الغربية. وأما ما يتعلق بالجانب السياسي، فهناك إيجابيات كثيرة صبت في مصلحة اليهود.

(٢) الجانب السياسي:

لقد أثبتت دراسات عدة، أن بيئة صانع القرار والصفات الخاصة به، كالذكاء وقوة الشخصية والشجاعة وخبراتها، تلعب دوراً بارزاً وهاماً في صناعة القرار، كما أن التنشئة الاجتماعية تساهم في توليد مشاعر معينة لدى الفرد، تجعله يعتقد بمبادئ وأفكار تنعكس على مواقفه المختلفة، بموجب رؤيا خاصة عن الواقع والمؤسسات التعليمية (بما في ذلك التعليم الديني) التي تكسب بعض العقائد السياسية، ولذلك يعمل صانعو القرار على إسقاطها أثناء اتخاذ قراراتهم السياسية، فالفرد والحالة هذه ابن بيئته تشده ويُسَدُّ إليها، ووفاءً لمتطلبات هذا البحث، فإننا سنتناول مواقف وتصريحات بعض الساسة الغربيين الذين أسهموا بخلق إسرائيل الدولة، أو في تبني مواقفها وتعزيز مكتسباتها فيما بعد، للوقوف على مدى تأثيرهم باليهودية وأساطيرها التوراتية التي عجت بها البيئة الغربية، وهذه تعد آثاراً

إيجابية حقها اليهود لصالحهم على الساحتين الأوروبية والأمريكية(٩٢).

١- **الساحة الأوروبية:** لعبت الدول الأوروبية وفي مقدمتها بريطانيا دوراً بارزاً في قيام إسرائيل، فنجد المقطوعات التوراتية متجذرة في عقول ساستها ويؤكد هذا ديفيد لويد جورج (D.J. George) رئيس وزراء بريطاني سابق - بالقول(٩٣): "لقد تربيت في مدرسة، تعلمت فيها عن تاريخ اليهود أكثر بكثير مما تعلمته عن تاريخ بلادي أنا، وفي وسمي أن أخبركم بجميع ملوك إسرائيل، ولكنني أشك في مقدرتي أن أسمى لكم ستة من ملوك إنجلترا، لقد تشبعنا كل التشيع بتاريخ الجنس العبري". وأما صاحب الوعد بلفور (Balfour) (١٨٤٨-١٩٣٠) فقد صرح بقوله: "أنا صهيوني"(٩٤)، وقد كانت طروحات: شعب الله المختار وحقه في أرض الميعاد، وتحقيق النبوة بتجميع اليهود في فلسطين من أبرز معتقداته التوراتية، التي ورثها في طفولته وترى عليها في أحد الكنائس الإنجليزية السكوتلاندية(٩٥)، ومن أفكاره التي لا جدال فيها اعتباره اليهود متفين يعيشون بعيدين عن وطنهم القديم ويجب إعادته إليهم(٩٦)، وأما تشرشل - كان وقتها وزيراً للمستعمرات البريطانية - صرح عند زيارته لفلسطين عام ١٩٢١ بالقول: "من الحق الصريح لليهود أن يكون لهم وطن قومي يحميهم، وهل يكون هذا الوطن غير فلسطين، التي ما برح اليهود منذ ثلاثة آلاف سنة مرتبطين بها"(٩٧)، وصرح أكثر من مرة بالقول(٩٨): "أنا صهيوني وأنا دائماً أشجع الصهيونية". وأما رجال السلطة التشريعية فالقس تولى كرايبك (Tolly Crybbace) - رئيس سابق للسلطة التشريعية - صرح بالقول: "على إنجلترا أن تؤمن لليهود كل فلسطين من الفرات إلى النيل ومن البحر المتوسط إلى الصحراء"(٩٩)، وأما حزب العمال البريطاني فقد دعا إلى إجلاء العرب عن فلسطين من أجل إيواء اليهود فيها(١٠٠)، وأصدر مجلس اللوردات البريطاني عام ١٩٤٤ وثيقة جاء فيها: (١٠١) "على العرب أن يرحلوا من فلسطين إذ لهم أوطان سواها، وإلا تعرضوا لتهجير الإبادة"(١٠٢).

إن تأثر الشعب البريطاني بالإيديولوجيا الدينية اليهودية كبير جداً أشار إليه وايزمان (١٨٧٤-١٩٥٢) بالقول: (١٠٣) "من حقه أن تسأل: ما هي أسباب حماسة الإنجليز لمساعدة اليهود، وشدة عطفهم على أمان اليهود في فلسطين، والجواب أن الإنجليز، لا سيما أصحاب المدرسة القديمة، هم أشد الناس تأثراً بالتوراة".

في الواقع لم يكن مشروع الاستيطان اليهودي في فلسطين مقصوداً على إنجلترا وحدها من الدول الأوروبية، إنما كان يلقي تأييداً واسعاً من سائر الدول الأوروبية الأخرى، ففرنسا مثلاً، كانت أول الساعين لتحقيق مثل هذا المشروع، الذي يلتقي في خطه العام مع سياسة التجزئة الفرنسية في المنطقة

العربية، بهدف تشديد قبضة الرأسمالية الفرنسية عليها من جهة، وإيجاد نماذج طائفية متعددة في المنطقة تأخذ بأنماط متغيرة في التطور الاجتماعي والثقافي والسياسي من جهة أخرى، فقد صدرت التصريحات الفرنسية ذات البعد الإيديولوجي الديني الاستيطاني لليهود في فلسطين، على لسان نابليون بونابارت، إبان حملته على مصر عام ١٧٩٨م، فقد وجه نداء لليهود في آسيا وأفريقيا حاثاً فيه لمساعدته من أجل إعادة بناء دولتهم القديمة، واستعادة مجدهم التاريخي الغابر في فلسطين (١٠٤). والجهود الفرنسية - البريطانية المشتركة لخدمة الأهداف الصهيونية لا تخفى على أحد، فاتفاقية سايكس-بيكو عام ١٩١٦، قطعت أوصال المنطقة العربية، وساهمت في إيجاد الدولة اليهودية أياً مساهمة، وأما لماذا تناولنا بريطانيا في البحث أكثر من غيرها من بين الدول الأوروبية، فهذا يعود للاعتبارات التالية:

(١) إن بريطانيا لعبت دوراً بارزاً على الساحة العربية يفوق مثيلاتها من الدول الأوروبية، وخصوصاً في منطقة الشرق العربي وفلسطين، التي أقيمت عليها دولة إسرائيل.

(٢) إن بريطانيا تعتبر زعيمة الاستعمار القديم.

(٣) ارتبط وعد بلفور ببريطانيا لكون صاحب الوعد كان وزيراً لخارجيتها.

(٤) إن بريطانيا كانت آخر دولة أوروبية خرجت من فلسطين بعد أن سلمتها لليهود.

لهذه الاعتبارات تناولنا بريطانيا من بين الدول الأوروبية، ويمكن للباحثين الآخرين التعرض لمواقف الدول الأوروبية الأخرى، وبيان مدى تأثيرها بالإيديولوجيا اليهودية، التي تسربت إلى بيئتها، وأخذت تعمل على صياغة الفرد الأوروبي بالشكل الذي ساهم في تحقيق الأهداف الصهيونية ولا يعادها.

(ب) الساحة الأمريكية: في الواقع إن المجتمع الغربي في الأمريكيتين يعطف على الأماني اليهودية، لكون البيئة فيهما تشبعت بالإيديولوجيا اليهودية وأصبح الفرد الأمريكي أسيراً للطروحات التوراتية التي أسرت عليه بيئته، ولما كانت الولايات المتحدة وريثة الاستعمار القديم، وبرزت لاعباً سياسياً قوياً بعد الحرب العالمية الثانية، وتولت رعاية الدولة اليهودية بعد رحيل بريطانيا، وتترجم دول أمريكا والعالم اليوم أيضاً، فإننا والحالة هذه سنخصصها دون غيرها بالحديث من بين دول الأمريكيتين.

إن رجالات السياسة في الولايات المتحدة يميلون إلى التماثل في تصريحاتهم مع سابقيهم على الساحة الأوروبية، فهذا الرئيس "وودرو ويلسون" يقول: "أنا صهيوني" (١٠٥)، والرئيس ترومان

قال بدوره: "إنه من الوجوب إقامة وطن قومي لليهود في فلسطين(١٠٦)" وهو الذي خاطبه كبير حاخامات يهود عند زيارته للبيت الأبيض بالقول: "إن الله وضعك في رحم أمك لتولد على يدك إسرائيل من جديد بعد ألفي عام"(١٠٧)، وقد سبقه الرئيس جفرسون باقتراح مفاده: "بأن يمثل رمز الولايات المتحدة على شكل أبناء إسرائيل تقودهم في النهار غيمة وفي الليل عمود من النار بدلاً من النسر"(١٠٨)، ويتجسد في هذا القول النص التوراتي الذي يقول: "وكان الرب يسير أمامه نهاراً في عمود سحاب ليهديهم في الطريق وليلاً في عمود من النار بدلاً من النسر"(١٠٩)، وأما الرئيس كارتر فقال: "إن إنشاء دولة إسرائيل هو إنجاز للنبوذة التوراتية وجوهرها"(١١٠). وهذا جون فوستر دالاس (١٨٨٨-١٩٦٩) يمثل النموذج الآخر من سياسي أمريكي فقد قال: "إن مدينة الغرب قامت في أساسها على العقيدة اليهودية في الطبيعة الروحية والإنسانية، ولذلك يجب أن تدرك الدول الغربية أنه يتحتم عليها أن تعمل بعزم أكيد من أجل الدفاع عن هذه المدينة والتي مغلها إسرائيل"(١١١)، أليس هذا الأمريكي يؤكد مقولة الصهيوني وايزمن عندما قال: "إننا نحن الصهيونيين نمثل لهم تراثاً عظيماً يكون له أعظم التقدير"(١١٢)، بلى لقد استوى اليهودي والأمريكي في الفهم بشأن القضية اليهودية برمتها.

ولما كان ساسة الولايات المتحدة الأمريكية لم يُلْقُوا بالاً لنبوذة الفيلسوف والسياسي الأمريكي بنيامين فرانكلين في تحذيره بمؤتمر ١٧٨٩ عندما قال(١١٣): "أيها السادة اطرءوا هذه الطغمة - يقصد يهود الولايات المتحدة - الفاجرة قبل فوات الأوان، ضماناً لمصلحة الأمة وأجيالها القادمة"(١١٤)، أصبح هناك يهود الفئة الأمرة وقادة الولايات المتحدة الفئة المنفذة، ولا نريد أن نذهب بعيداً لتأكيد ذلك فيكفي أن نذكر أن الكاتب الأمريكي 'دوجلاس ريد' وصف رجال السياسة في بلده بالقول: "إن رؤساء أميركا، ومن يعملون معهم، ينحنون أمام الصهيونية كما لو كانوا ينحنون أمام ضريح له قداسته"(١١٥). ليأتي عهد الرئيس الأمريكي بل كلنتون كعلامة صدق لمقولة دوجلاس ريد وخاصة في عهد ولايته الثانية، فيسلم أمر الولايات المتحدة وخاصة المراكز الحساسة في السياسة الخارجية والبيت الأبيض ولأول مرة في تاريخ الولايات المتحدة لليهود، رغم أن نسبة اليهود لسكان الولايات المتحدة ٣٪ فقط، نجد هناك (٤٠) يهودياً وصهيونياً يحيطون بالرئيس كالسوار بالمعصم(١١٦). فإذا مال عن خطهم عوقب، فليست فضيحة وترغيت التي لحقت بالرئيس السابق (نكسون) غائبة عن الأذهان، وما كان التلويح بفضيحة مونيكاً غيت بين حين وآخر، إلا لابتزاز المواقف المؤيدة لإسرائيل. وليس الرؤساء وحدهم مهددون بفقدان مناصبهم فيما لو أهملوا المطالب اليهودية، فهذا السناتور (فولبرايت) رئيس لجنة الشؤون الخارجية في مجلس الشيوخ عام ١٩٧٣، يؤكد مدى الهيمنة اليهودية

بالقول: "إن الإسرائيليين يتحكمون في سياسة الكونغرس ومجلس الشيوخ، وأضاف: "إن زملاءنا في مجلس الشيوخ ونسبة (٧٠٪) منهم لا يحددون مواقفهم إلا تحت ضغط اللوبي الصهيوني، وليس برؤيتهم الخاصة القائمة على مبادئ الحرية والقانون"، وفي الانتخابات التالية، فقد فولبريت مقعده في مجلس الشيوخ (١١٧). إن هذا يعكس تأثير اليهود في البيئة الغربية، والتي لا تزال تعج بأساطيرهم، وقد نالت من الغربي الكثير حتى أنه قدم مصالح اليهود على مصلحته، فلم يزل الوعد والخلاص والإله الذي قطع الوعد، والكتاب الذي يحمل الوعد والرؤيا، سلاح الصهيونية في كسب تأييد العالم الغربي، ومناصرته لها بكل أنواع المؤازرة، وكان ثمرة ذلك كله قيام الدولة اليهودية كنتيجة حتمية للدور الإيديولوجي اليهودي، الذي أرسى قواعده الدين واستثمره منظرو الحركة الصهيونية، الذين عملوا على تجذيره سياسياً في صدور اليهود، ومن ثم تسويقه في بيئة الغرب، أدى إلى تكاتف جهود الجميع فكانت الدولة.

رابعاً: قيام الدولة:

لقد ترجمت الأحلام اليهودية على أرض الواقع، بفضل الجهود المضنية التي بذلها رواد يهود على مختلف الصعد، ولا سيما الديني منها، إذ استثمروا إيديولوجية الدين استثماراً ناجحاً جمع كلمتهم حول هدفهم المحدد، وإقحام هذه الإيديولوجيا بأساطيرها التوراتية في أذهان الغرب، فسخرها أهلها للعمل من أجل تحقيق هدفهم المتمثل بالعودة إلى أرض الميعاد، وإقامة الدولة على أرضها، ولم تكن الإيديولوجيا اليهودية الدينية هي العامل الوحيد في إقامة الدولة، وإن كانت أهمها، بل هناك إيديولوجيتين لعبتا دوراً كبيراً في هذا السياق، وهما: الإيديولوجيا السياسية الصهيونية، والتي نشأت متأثرة بالقومية الأوروبية، والإيديولوجيا الاستعمارية الغربية ذات المطامع بالمنطقة العربية، سنتناولهما وبالقدر الذي يعين على تحقيق أهداف البحث.

(١) الإيديولوجيا السياسية الصهيونية:

ارتبطت الصهيونية بالقومية الأوروبية التي أفرزت بدورها الدولة الوطنية (القومية Nation State) ارتباطاً وثيقاً، فخلال القرنين السادس عشر والسابع عشر، كانت الإيديولوجيا الدينية هي العامل ذات الأهمية الكبرى في الصراعات الناشئة بين الدول والجماعات، إلا أن الأمر قد تغير بعد توقيع اتفاقية وستفاليا عام ١٦٤٨م، وهبوب رياح القومية وثمرتها تأسيس الدولة القومية الحديثة، التي ولدت على أنقاض النظام الإقطاعي (١١٨)، ولما كانت الصهيونية وليدة البيئة الغربية، حيث نشأ وترعرع روادها الأوائل هناك. لذا فالصهيونية شديدة الارتباط بالقومية الأوروبية، وهذا الارتباط عبر عنه المؤرخ اليهودي (تالمون Talman) بالقول: "لأن كل واحدة من العبارات التاريخية في

الفلسفة الصهيونية جاءت رد فعل لانتصار حركة قومية ما^(١١٩)، فدعوة طلائع الصهيونية الأوائل أمثال: (الحاخامي الكلاي Al kalai) الداعية إلى إحياء اسم إسرائيل جاءت دعوته رد فعل للقومية اليونانية، كونه عاش في جو بلقاني مفعم بالروح القومية^(١٢٠)، بينما دعوة الحاخام (هـ. كاليسر H. Kalischer) قائمة على المناداة باقتفاء أثر الإيطاليين والبولونيين والهنغاريين في صراعهم من أجل الاستقلال القومي، لكونه شاهد في بولندا غليان القومية الأوروبية^(١٢١). كما أن (موزز هس Moses Hess) (١٨١٢ - ١٨٧٥)، وهو أول من زود القومية اليهودية بقاعدة فلسفية، نتيجة تأثره بحركة الإحياء القومي الإيطالي وبوسطه الاجتماعي الألماني، فقد لمس عداء عرقي طبيعي لليهود في ألمانيا، مما أثار فيه ردة فعل عكسية للتمسك بالعمل من أجل القومية اليهودية التي نادى بها فيما بعد^(١٢٢).

كما نادى المفكر اليهودي بنسكر بخلق القومية اليهودية وإيجاد أرض للشعب اليهودي كرمز للتححر الحقيقي لهم^(١٢٣)، إن الأسباب الحقيقية وراء دعوة هؤلاء الطلائع، هي بؤس الأوضاع التي كان يعيشها يهود في كل الأماكن التي حلوا فيها، فطيلة تاريخهم الطويل لم يستطيعوا التعايش مع الشعوب التي كانوا يحلون بينهم، بل حرصوا على أن يتحوصلوا في الغيتو (حارة اليهود)، يتخفون وراء أسوارها وأزقتها، يضعون الخطط لابتزاز الناس واستغلالهم وإفسادهم، فجلب عليهم هذا حملة من الحقد والكراهية، الأمر الذي استدعى وضع قوانين تحدد أماكن إقامتهم، وهذا ما حصل في روسيا التي انتشرت فيها المذابح ضدهم بخاصة، على أثر اغتيال القيصر إسكندر الثاني عام ١٨٨١ من قبل خلية ثورية أحد أعضاءها يهودي يدعى (هلفمان)، وهبوب حملة مركزة على تحقير اليهود في فرنسا نتيجة إفلاس قتال بنما عام ١٨٨٨، وتبين أن نصف مليون فرنسي قد أفلسوا نتيجة مساهمتهم بالشركة بتشجيع من أعضاء مجلس البرلمان وموظفي الحكومة وبوساطة يهودية قائمة على الرشوة^(١٢٤).

ومع مجيء هرتزل (Theodor Herzl) (١٨٦٠ - ١٩٠٤) دخلت الصهيونية السياسية مرحلة جديدة، بعد تسلمه رئيساً للمنظمة الصهيونية رسمياً، وكان بداية من أنصار فكرة صهر ودمجهم اليهود في المجتمعات التي يعيشون فيها، واقترح عليهم اعتناق المسيحية كحل أمثل لمشكلتهم^(١٢٥)، ولكنه تحول فيما بعد إلى صهيوني متعصب، نتيجة لما رآه عام ١٨٩٤ أثناء عمله كصحفي في باريس - لحساب إحدى الجرائد التي كانت تصدر في فينا - من أحداث رافقت محاكمة يهودي يدعى (دريفوس فاير)، وقد ساءه التحيز ضد اليهود أثناء المحاكمة^(١٢٦)، أضف إلى ذلك تفشي حملة اللاسامية ضدهم، فنادى بإقامة الدولة اليهودية، وبذلك تكون اللاسامية أحد عوامل ظهور الصهيونية

السياسية؛ لكونها أظهرت الحماس لقيام تكتل يهودي، ورغبة لديهم - اليهود - لرد اعتبارهم بين الأمم، كما أنها تعتبر المعين الذي يغذي الصهيونية لتحقيق برامجها. عندها قام هرتزل بوضع مؤلفه "الدولة اليهودية" عام ١٨٩٦، ضمنه خطة عمل مستقبلية، التي بدأها باختيار أرض الدولة (١٢٧)، التي انقسم اليهود إزاءها، فقد تم طرح أكثر من منطقة كالأرجنتين وأوغندا وأستراليا وجنوب أفريقيا، وقد فضل هرتزل الأرجنتين على فلسطين كما ظهر في كتابه "الدولة اليهودية" واعتبرها وطن الأجداد، وأنها تستهوي اليهود بسبب ثرواتها وأراضيها الواسعة وعدد سكانها القليل ومناخها المعتدل، إلا أنه غير رأيه فيما بعد وفضل عليها فلسطين متأثراً بنصيحة جماعة (مجي صهيون) التي تأسست في روسيا عام ١٨٠٢، إذ بينت له مدى أهمية البعد الديني في اختيار فلسطين، وما لهذا البعد من تأثير عاطفي على النفوس في جذب جماهير الشعب اليهودي، الأمر الذي سيؤدي إلى حتمية مؤازرة كل المؤمنين بالكتاب المقدس لهذا المسعى، لكونها أرض الميعاد المذكورة في وثيقة التوراة التي يؤمن بها كل من المسيحيين واليهود على السواء (١٢٨)، وهذا ما تحقق فعلاً في مؤتمر (بازال) في سويسرا عام ١٨٩٧م، فقد تم اختيار فلسطين رسمياً كوطن قومي لليهود (١٢٩)، وبهذا التقت الصهيونية السياسية باليهودية الدينية (١٣٠)، بمعنى آخر تداخلت الإيديولوجيتين معاً الدين والسياسة لإقامة وطن أرض الميعاد.

(٢) الإيديولوجيا الاستعمارية :

لعبت الدول الاستعمارية الأوروبية ذات المطامع في منطقة الشرق العربي دوراً كبيراً في قيام دولة إسرائيل، فعملت بريطانيا وفرنسا وألمانيا على مساعدة اليهود على الهجرة إلى فلسطين، وتقديم كل عون يصب في مصلحة الأمانى اليهودية، متأثرة بسببين: الأول، الإيديولوجيا الدينية اليهودية التي غزت البيئة الأوروبية - كما أسلفنا - وتسلمت بعدها إلى البيئة الأمريكية، والثاني، غنى المنطقة العربية اقتصادياً وموقعها الاستراتيجي الهام، فبريطانيا غرست بذرة الدولة اليهودية في فلسطين، على أثر مؤتمر لندن (١٩٠٥ - ١٩٠٧)، الذي دعا إلى إقامة جسم قوي يفصل آسيا العربية عن أفريقيا العربية، يكون صديقاً للغرب، عدواً لأهل المنطقة، وشاركتها فرنسا بعقد اتفاقية سايكس بيكو عام ١٩١٦ لتجزئة منطقة المشرق العربي، وصاغتا معاً صك الانتداب في مؤتمر سان ريمو عام ١٩٢٠ فيما بعد، لوضع الاتفاقية موضع التنفيذ، وأعطت بريطانيا قبل هذا وعد بلفور عام ١٩١٧ الداعي إلى إقامة وطن قومي لليهود في فلسطين، وجاءت الولايات المتحدة تلعب الدور نفسه فرعت الغرسة وأيدت الوعد (١٣١)، ففي (١٤) أيار ١٩٤٨ ولدت الدولة (١٣٢)، ووقف الرئيس الأمريكي (ترومان) يعلن عن استعداده بالاعتراف الفوري بدولة إسرائيل إذا ما تسلم طلباً بذلك، عندها أرسل له ممثل

الوكالة اليهودية (الياهو غيلات) طلب الاعتراف، الذي قبله الرئيس على الفور، وتتابعت بعده دول العالم مقتفية أثره.

وخلاصة القول إن إسرائيل الدولة قامت بفضل تظافر ثلاث عوامل هي : الإيديولوجيا الدينية - وهي أهمها - وعمادها الأساطير التوراتية، والتأثر بالقومية الأوروبية التي أفرزت الإيديولوجيا الصهيونية السياسية وقوامها التعصب العرقي، والإيديولوجيا الاستعمارية وأهدافها الهيمنة على المنطقة العربية، فقد تمخض عنها جميعاً، ولادة مشروع سياسي استعماري استيطاني متعصب، له ثلاثة أبعاد إيديولوجية، يمثل كل بعد لون العامل الذي ساهم في وجوده وهي (١٣٣):

أ. **البعد الديني** : فقد نشأ في لاهوت النصرانية الغربية، وقد بدأ بروتستانتياً ثم مارس الابتزاز والتأثير على الكنيسة الكاثوليكية الغربية، حتى جعلها تُشرع وتمنح البراءة لليهود من دم المسيح الواحدة تلو الأخرى.

ب. **البعد الامبريالي الغربي** : وهذا من شأنه توظيف الصهيونية في خدمة هيمنته الاستعمارية والحضارية في المنطقة العربية، واعتبار الكيان اليهودي قلعة الغرب المتقدمة في المشرق.

ج. **البعد العنصري اليهودي** : الذي تغذيه القومية الصهيونية، التي استثمرت وتستثمر ألوان التعصب، فعلى سبيل المثال: فقد قدموا أنفسهم للعالم على أنهم شعب الله المختار وما دونهم جوايم (حيوانات) (١٣٤)، وهذا ما تنبّهت إليه الأسرة الدولية وأصدرت قرارها في ١٠ تشرين الثاني ١٩٧٥، وفي جلسة عادية لمنظمة الأمم المتحدة على أن الصهيونية شكل من أشكال العنصرية والتمييز العنصري (١٣٥).

وإذا كان لا بد من كلمة أخيرة في هذا المقام، فاليهود في فلسطين اليوم، هم مجرد "الفائض الإنساني" الذي كان لا بد أن تصدره أوروبا الرأسمالية إلى الشرق، بعد أن عجزت عن تصديره زمن الحروب الصليبية، وتدفع الولايات المتحدة بنفس الفائض لتصنع من الكيان السياسي اليهودي الحالي استعماراً استيطانياً مسلحاً بدعاوي دينية يختلف عن الأنماط الاستيطانية التقليدية، كونه لا يهدف إلى الاستيطان فحسب، بل يهدف إلى تطبيق إيديولوجية الإحلال (Repancement) بمعنى طرد السكان العرب وإحلال يهود مكانهم، وما إيديولوجيا (الترانسفير) التي قوامها نقل العرب داخل فلسطين، وقذفهم خارجها بحجة الحفاظ على نقاء الجنس اليهودي، إلا أحد الأساليب التي تندرج ضمن هذا السياق.

الخاتمة:

نشير بداية أن الدراسة أكدت صحة فرضيات البحث، وأوصلتنا إلى نتائج يمكن اعتبارها أجوبة شافية للكثير من الأسئلة التي أثارناها حول دور الإيديولوجيا ونشأة الدول، غير أن الأجوبة التفصيلية في ثنايا البحث وما يعيننا تلك الاستنتاجات العامة وأهمها:

(١) أن الإيديولوجيا الدينية أكثر أنواع الإيديولوجيات فعالية، لأنها تستند إلى نصوص مقدسة، تجعل منها مسلمة تميل إليها النفوس وتنحني لها تصديقاً، وتخف إلى العمل بها وإنجاز أهدافها.

(٢) تعتبر الإيديولوجيا عامل استقطاب كما هي عامل استبعاد، فالإيديولوجيات ذات الأصول المشتركة تقترب وذات الأصول المختلفة تتنافر وتبتعد.

(٣) تلعب الإيديولوجيا دوراً حاسماً في نشأة الدول، ولا تنفك عنها بعد قيامها، بل تلقى عليها عباءتها وتصبغها بصبغتها.

(٤) تمد الإيديولوجيا الكيانات السياسية التي تُنشئها بمقومين شرعيين أساسيين مرتبطين معاً: شرعية البقاء للكيان السياسي، والشرعية السياسية للحكومة، والخروج على أحدهما يعني تجاوز الخطوط الحمراء للإيديولوجيا المانحة وهذا يستوجب العقاب.

(٥) تشكل بيئة الإيديولوجيا، وما تحويه من أفكار ومعتقدات وأدبيات وطقوس وشعائر وأساطير... المنبع الذي تُستقى منه الرؤى والمواقف الفكرية لرجال النخبتين الدينية والسياسية في الدولة، ويتم توظيفها من خلال ممارساتهم العملية وقراراتهم المتخذة.

(٦) تمر الإيديولوجيا بعدة مراحل، أقواها على الإطلاق مرحلة التفاف الاتباع حولها، الذي يبلغ الحماس لديهم مبلغاً يرى فيه الأفراد الجود بالنفس غاية القناعات التي يؤمنون بها، وأدنى مراحلها الضعف التي يعزف الاتباع عن الأخذ بأبسط مقوماتها.

(٧) إن الإيديولوجيا التي تقوم على نزعة العنف، لا يكتب لها البقاء طويلاً وأثارها الدمار، على خلاف تلك التي تقوم على الاعتدال وأثارها حضارة وسعادة الإنسان.

وبناء عليه فقد خالصنا إلى التوصيات التالية:

- دعم وتشجيع عقد المؤتمرات والحوار بين الأديان، ونشر أبحاث معدة بشكل علمي في الدول الغربية، وبشكل دوري تناقش فيها مسائل دينية بهدف تنوير عقول الغربيين بالعوي والمعرفة الحقّة،

من أجل تصحيح المفاهيم الخاطئة المبنية على أفكار يهودية لدى الكنائس الأمريكية، وخصوصاً تلك التي آمنت - الأصولية المسيحية - بوحداية التراث المسيحي - اليهودي للإنسانية، وبالقدر الذي يفتح العيون الكلييلة على حقيقة التوراة، بغرض فحص أسسها اللاهوتية، وأبعاد مصطلحاتها التوراتية، تمهيداً لكشف زيفها، لأن إزالة الكيان السياسي الصهيوني من المنطقة العربية، لا تتم قبل إزالة الكيان الديني من عقول الغربيين وعواطفهم.

- تنمية الجوانب الدينية في النشر المسلم وتوعيته، وذلك بالتركيز على مصادر الإسلام، - القرآن والسنة - من خلال تكثيف حصصها وزيادة ساعاتها الأسبوعية في مناهج التدريس، وعلى كافة مستويات الحياة العلمية، وذلك لخلق قاعدة عقائدية قوية تقابل القاعدة العقائدية اليهودية، لتكون بمثابة سلاح ردع يحول دون تنفيذ يهود مخططاتهم.

- تجاوز حدود القطرية والقومية في البلدان العربية والإسلامية، والأخذ بالإسلام كونه تراث المسلمين المشترك في كل بقاعهم، ومؤهل لبناء الوحدة التي تحوي كل أسباب القوة والمنعة، عندها لا يتجرأ الآخرون على سلب حقوق المسلمين وامتهان تراثهم.

وفي تقديري أن التوصيات السابقة تجد من الصعوبة بمكان تطبيقها في ظل الوضع الراهن؛ لكون الامتيازات التي منحتها القطريات والقوميات الضيقة للفئات الحاكمة، تحول دون الأخذ بالتوجه الواحدوي الإسلامي، لأنها ستعمل جاهدة في سبيل الحفاظ على تلك الامتيازات، أضف إلى ذلك حيلولة الدول الكبرى دون تطبيقها؛ لكونها ترى بكل توجه ديني عمل أصولي يغذي الإرهاب يجب مقاومته. إلا أنه يمكن اللجوء إلى العمل المرحلي في هذا التوجه ضمن خطط مدروسة من أجل بلوغ الغايات وتحقيق الأهداف.

الهوامش

- (1) Marcuse, Herbert, The Unidimensional Man: Boston, Beacon, press, 1966.
- (2) Chafik Said, Enjen des Pouvoris et Permanence des Ideologies, Revue Tunisienne de Deroit -Tunis Center: D'Etudes De Recherches et Pubication, 1995, p.243-293.
- (٣) نديم البيطار، الإيديولوجيا الانتقالية، بيروت: المؤسسة الأهلية للطباعة والنشر، ١٩٦٤.
- (٤) هيئة تحرير مجلة العلوم الاجتماعية والعصر، التوسع الإيديولوجي للولايات المتحدة، موسكو: أكاديمية العلوم السوفيتية، ١٩٨٦.
- (٥) العميد الركن ياسين سويد، الصهيونية من فكرة خرافية إلى دولة توسعية، مجلة المنطلق (لبنان)، العدد (٩٨/٨٨) رمضان /شوال (١٤١٢)، ص ٢٩١٧.
- (٦) حسني زينة، العلاقة بين المسيحية والصهيونية، مجلة المنطلق (لبنان) العدد (٨٩/٨٨) رمضان /شوال (١٤١٢)، ص ١٧٣-١٩١.
- (٧) فكتور سحاب، قراءة في كتاب الأصولية الإنجيلية، مجلة المنطلق (لبنان) العدد (٨٩/٨٨) رمضان /شوال (١٤١٢)، ص ١٩١-١٩٥.
- (٨) عبد الوهاب المسيري، الإيديولوجيا الصهيونية: دراسة حالة في علم اجتماع المعرفة، الكويت، المجلس الوطني للثقافة، ١٩٨٣.
- (٩) عبد الله جمعان الغامدي، الإيديولوجيا السياسية الأمريكية، مجلة شؤون اجتماعية (الإمارات العربية)، العدد (٥٦)، ١٩٩٧، ص ٨٤.
- (١٠) عبد الله العروي، مفهوم الإيديولوجيا، ط ٣، الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، ١٩٨٤، ص ١٠٣.
- (١١) عبد الحسين شعبان، الصراع الإيديولوجي في العلاقات الدولية، اللاذقية: دار الحوار، ١٩٨٥، ص ١٢.
- (١٢) مرجع سابق، ص ٤٨٥.
- (13) Friedrich, Vark, Man and His Government, An Empricial Theory of Politics, New York: McGraw Hill, 1963, pp. 89-90.

- (١٤) عبد الوهاب المسيري، مرجع سابق، ص ٤٨٦-٤٨٧.
- (١٥) علي عبد الواحد وافي، اليهودية واليهود، بحث في ديانة اليهود وتاريخهم ونظامهم الاجتماعي والاقتصادي - د.م: مكتبة غريب، د.ت.، ص ١٠-١١.
- (١٦) يقال أن الكاهن عزرا ابن سرايا، وهو من سبط هارون كان مقرباً من الملك الفارسي (ارتخشستا)، وقد اكتسب تأييده وساعده في العودة للقدس عام (٤٥٨) ق.م، وهو الذي وضع التوراة فغير وبدل فيها وسهى وزاد عليها، وقد حمل ألقاباً كثيرة منها: الكاهن والكاتب والوراق يعني العالم والفقيه - انظر - عبد الوهاب عبد السلام، لمحة تاريخية من التوراة والأدوار التي مرت بها، مجلة منار الإسلام، السنة (١٣)، العدد (١٠)، ١٥ حزيران/يونيه ١٩٨٨، ص ٣١ - ٣٢.
- (١٧) عبد العفو سنقرط، جذور الفكر اليهودي، ط ٢ - عمان: دار الفرقان ١٩٨٧، ص ٥٨-٦٠.
- (١٨) للوقوف على الاختلاف في الأسفار - انظر - علي عبد الواحد، الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام - القاهرة: دار النهضة، د.ت. ص ١٦-١٩.
- (١٩) عبد المجيد العزام ومحمود الزعبي، دراسات في علم السياسة - عمان: المؤلفان، ١٩٨٨، ص ٩٧.
- (٢٠) عبد المنعم محفوظ ونعمان الخطيب، مبادئ في النظم السياسية، ط ١ - عمان: دار الفرقان، ١٩٨٧ - ص ٢٤.
- (٢١) المرجع السابق، ص ٤.
- (٢٢) المرجع السابق، ص ٤.
- (٢٣) راموند كارفيليد كيتيل، العلوم السياسية، ترجمة فضل زكي محمد - بغداد: مكتبة النهضة، ١٩٦٣، ص ٩.
- (٢٤) بطرس غالي ومحمود خيرى عيسى، المدخل في العلوم السياسية، ط ٧ - القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٨٤، ص ١٧٣.
- (٢٥) فكتور سحاب، مرجع سابق، ص ١٩٤.
- (٢٦) إله إسرائيل: عمد اليهود إلى آلهة الكنعانيين، واتخذوا منها إلهاً، لهم وأطلقوا عليه اسم (يهوى)، واعتبروه الذي أوحى لموسى - عليه الصلاة والسلام - التوراة وقالوا أنه إله آبائهم إبراهيم وإسحاق ويعقوب وغيرهم - انظر - السموال بن يحيى المغربي، افحام اليهود، تقديم وتعليق محمد عبد الله الشرقاوي - الرياض: الرئاسة العامة للبحوث، ١٤٠٧، ص ٥١.

- (٢٧) سفر التكوين الإصحاح ١٢ : (٨-٧).
- (٢٨) سفر التكوين الإصحاح : ١٥ (١٣-١٤).
- (٢٩) نظام محمود بركات، الاحلال العلاقة الجدلية بين الاستيطان والهجرة اليهودية، والتهجير واللجوء الفلسطيني، ورقة عمل، ندوة اللجوء ومستقبل الأمن الشامل في الشرق الأوسط (٢٦-٢٧) تموز ١٩٩٨، جامعة اليرموك: مركز دراسات اللاجئين النازحين والهجرة القسرية، ١٩٩٨، ص ١-٢.
- (٣٠) سفر التكوين الإصحاح : ١٥ (١٩-٢٠).
- (٣١) سفر التكوين الإصحاح : ١٣ (١٤-١٦).
- (٣٢) سفر التكوين الإصحاح : ١٧ (٨-٩).
- (٣٣) سفر التكوين الإصحاح : ١٥ (١٨-١٩).
- (٣٤) سفر التثنية الإصحاح : ١١ (٢٤-٢٥).
- (٣٥) للوقوف على نصوص وعود هؤلاء - انظر - سفر التكوين الإصحاح : ٢٦ (٢-٤)، وسفر يوشع الإصحاح : ١ (٣-٤)، سفر التكوين الإصحاح : ٢٨ (١٣-١٤)، والإصحاح : ٣٥ (١٠-١١)، سفر الخروج الإصحاح : ٦ (٣-٥) و سفر التثنية الإصحاح : ١١ (٢٤-٢٥).
- (٣٦) سفر التكوين الإصحاح : ١٣ (١٤-١٦).
- (٣٧) سفر التكوين الإصحاح : ٢٦ (٢-٤).
- (٣٨) طعيمة الجرف، نظرية الدولة والمبادئ العامة للأنظمة السياسية ونظم الحكم، دراسة مقارنة - القاهرة: دار النهضة، ١٩٧٨، ص ٧٥-٧٦.
- (٣٩) حزقيال الإصحاح : ٢٤ (٢٣-٢٦).
- (٤٠) سفر الأخبار الأول : (١٧).
- (٤١) سفر شعبا الإصحاح ٤٥ (١-٢)، كما ألقوا نفس العبء فيما بعد - عباءة النبوة - على الرئيس الأمريكي فرنكلين روزفلت فيما بعد، بسبب مواقفه المؤيدة للصهيونية، وقدموا له ميدالية ذهبية تحمل في وسطها عبارة الإهداء التالية: " الرفاء والحكمة لفرنكلين روزفلت، نبينا الجديد، الذي سيعيدنا إلى الأرض الموعودة في ظل خاتم سليمان بن داود " - انظر - إسماعيل الكيلاني،

- الخلفية التوراتية للموقف الأمريكي، ط ١، - قطر: مكتبة الأقصى الإسلامية، ١٩٨٦، ص ١٣٦-١٣٧. انظر أيضاً - زياد أبو غنيم، السيطرة الصهيونية على وسائل الإعلام العالمية، ط ١، - عمان: دار عمار، ١٩٩٠، ص ١٣٣.
- (٤٢) قال الحاخام غودمان لهرتزل: "كأنني أرى موسى بلحمه وعظمه... ربما كنت ذاك الذي اصطفاه الله" - انظر - جورجي كنعان وثيقة الصهيونية، مرجع سابق، ص ١٢٩.
- (٤٣) وصف الأب اغناطوس هرتزل بالقول: (هو يشوعكم الذي جاء لتحقيق نبوة حزقيال)، المرجع السابق، ص ١٢٩.
- (٤٤) اقتحم القس وليم هتشلر مكتب هرتزل وخاطبه قائلاً "أنت هو الذي كنت أنتظره أنت المسيح المنتظر"، المرجع السابق، ص ١٢٩.
- (٤٥) محمود نعناعة، الصهيونية في الستينات، ص ٢٩.
- (٤٦) الملاحظ أن اليهود ينتظرون المسيح ثانية، في حين لم يؤمنوا به حينما أرسل لهم أول مرة، وحاولوا صلبه، والمسيح القادم (العائد) عيسى ابن مريم، حينما ينزل سيقم دولة المؤمنين القائمة على التوحيد، فهذا المسيح لا ينتظرونه، وأما المسيح الموعود الذي لبثوا دهرًا يتخيلونه ملكاً صاحب عرش وتاج يفتح بيت المقدس بالسيف، ويعيد فيها بناء الدولة فلينتظروه... فلن يأتي - انظر - جورجي كنعان، وثيقة الصهيونية، مرجع سابق، ص ٩٩ - انظر أيضاً - يوسف على مرار، الفكر الإرهابي الصهيوني وممارساته العملية - عمان: المطابع التعاونية، ١٩٨٨، ص ١٧٧-١٧٨.
- (٤٧) ينطوي تحت معنى الخلاص في العهد الجديد (الإنجيل) غفران الخطيئة والخلاص من تبعاتها وتطهير النفس - انظر - حسني زينة، مرجع سابق، ص ١٧٤ - انظر أيضاً - جورجي كنعان، تاريخ يهوه، ط ٢ - بيروت: الدار العربية للعلوم، ١٩٩٤، ص ١٣٦.
- (٤٨) الآشوريون: هم من القبائل السامية النازحين من شبه الجزيرة العربية، استوطنوا منطقة آشور شمال العراق، وأسقط سرجون الثاني ملكهم المملكة الإسرائيلية عام (٧٢٢) ق.م. - انظر - مصطفى مراد الدباغ، بلادنا فلسطين، القسم الأول، الجزء الأول - بيروت: دار الطليعة، ١٩٦٥، ص ٥٦٩.
- (٤٩) البابليون (الكلدانيون) هم من القبائل السامية أيضاً التي نزلت جنوب العراق. ويعدّ نبوخذ نصر من ملوكهم، قضى على المملكة اليهودية عام (٥٨٦) ق.م. ويعتبر هذا أعظم ملوك العراق -

انظر - المرجع السابق، ص ٥٧٧-٥٧٨.

(٥٠) نجيب الأحمد، تهويد القدس، بيروت: منظمة التحرير الفلسطينية، د.ت. ، ص ١٠.

(٥١) سفر زكريا، الإصحاح ٨: (٧).

(٥٢) سفر أرميا، الإصحاح ٣٠ (٣).

(٥٣) سفر شعبا الإصحاح ١١ (١١-١٤).

(٥٤) سفر زكريا، الإصحاح ٨ (٧).

(٥٥) سفر زكريا، الإصحاح ١٠ (٨-١٠).

(٥٦) سفر المزامير، المزمور ١٢٣.

(٥٧) جورج كنعان، تاريخ يهو، مرجع سابق، ص ١٩.

(٥٨) المرجع السابق، ص ٢١.

(٥٩) المرجع السابق، ص ٢١.

(٦٠) يقول بنيامين فريدمان: " إنه لتزييف للحقيقة الزعم بأن يسوع المسيح هو يهودي، إن هذا خداعاً تضليلياً وخطأً بين شيئين خطأ. وهذا بحد ذاته يتعارض مع الحقيقة التاريخية ومع اللاهوت " - للمزيد انظر - بنيامين فريدمان، يهود اليوم . . . ليسوا يهوداً، (الدراسة الأولى)، ترجمة زهدي الفاتح - بيروت: دار النفائس، ١٩٨٨، ص ٣٠-٣١.

(٦١) يوسف الحسن، البعد الديني في السياسة الأمريكية تجاه الصراع العربي - الصهيوني، ط ١ - بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٩٠، ص ٢١.

(62) Tuchman, Barbara W., Bible and Sword: England and Palestine from the Bronze Age to Balfour -New York: University press, 1956, p.80.

(63) Cecil Roth, Essays and Portraits in Anglo-Jewish History - Philadelphia: Jewish Publication Society of America, 1962, p. 15.

(٦٤) ولد مارتن لوثر كنغ في ألمانيا عام ١٩٤٣م، ودخل الدير عام ١٥١٥، وأدين عام ١٥٢٠ لكونه هاجم صكوك الغفران، وإيمانه بفكرة الخلاص التي يتقرب بها الإنسان إلى الله لا بالأعمال التي تفرضها عليه الكنيسة. للمزيد انظر - زياد عبد العزيز المدني وزهير غنايم، تاريخ العالم في

العصور الحديثة، ج ١، عمان: جمعية المطابع المركزية، ١٩٩٤، ص ٢٦-٢٧.

(٦٥) المرجع السابق، ص ٣٨-٣٩.

(٦٦) الأصولية: (fundamentalism) تطلق على الاتجاهات الدينية المتشددة في مسائل العقيدة والأخلاق، والمؤمنة بالعصمة الحرفية للكتاب المقدس، سواء العهد القديم أو الجديد (Old and New Testament)، ويركز الأصوليون في فهمهم للعهد القديم على موضوع محوري هو إسرائيل، وشعبها المختار من قبل الله كعنصر مقدس والدفاع عنه -انظر- مورييس بوكاي، القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم، ترجمة دار المعارف - القاهرة: دار المعارف، ١٩٨٢، ص ٣٣. (٦٧) سفر الزامير هو مجموعة من الترجمات الشعرية لمزامير التوراة معدة لكي ينشدها المصلون في الكنائس يصل عددها إلى ٥١ مزموراً.

(68) Reuben Fink, America and Palestine - New York: Herald Square, Press, 1944, p. (13).

(69) Henry L. Feingold, Zion in America, The Jewish Experience from Colonial Times to the Present New York: Hippocrene Book, 1974, p. 103, 26.

(70) Ibid, p. 26.

(٧١) ينتشر البروتستانت في ألمانيا وإنجلترا والدنمارك وهولندا وسويسرا والنرويج وأمريكا الشمالية، وهم يسمون كنيستهم الإنجيلية، بمعنى أن أتباع هذه الكنيسة يتبعون الإنجيل، للمزيد انظر -أمين القضاة ورفيقاه، أديان وفرق، عمان: دار عمار ١٩٠٠، ص ١٠٤.

(٧٢) زياد أبو غنيم، مرجع سابق، ص ٨٧.

(٧٣) تبجح الشرائع اليهودية لليهودي تغيير دينه، فهذا هرتزل يخاطب البابا قائلاً: "دافع عنا أمام اللاسامية، وسأقنع اليهود بتغيير دينهم إلى المسيحية" - انظر - روث بلاو، يهود . . . لا صهيانية، ترجمة زكي حسن نسيبة - بيروت: دار الكلمة د.ت.، ص ٢٨٤.

(٧٤) لاحظ د. سميح فرسون الباحث الفلسطيني في الجامعة الأمريكية في واشنطن بحصافة، أن كلاً من المجتمع الأمريكي والمجتمع الإسرائيلي، والمجتمع الأبيض في جنوب أفريقيا استخدم ذريعة أرض الميعاد لإضفاء صفة الشرعية على اغتصاب أرض الآخرين - انظر - فكتور سحاب، مرجع سابق، ص ١٩٤.

- (٧٥) إسماعيل الكيلاني، مرجع سابق، ص ١٣٢-١٣٣.
- (٧٦) يوسف الحسن، أعمدة مفاتيح الحركة الصهيونية في الولايات المتحدة، شؤون عربية، العدد ٥٤، ١٩٨٤، ص ١٢٤.
- (٧٧) زياد أبو غنمية، مرجع سابق، ص ٨٨.
- (٧٨) للوقوف على أشهر هذه المنظمات ونشاطاتها - انظر - يوسف الحسن، البعد الديني في السياسة الأمريكية: مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٩٠، ص ١٠٠-١٩٤.
- (٧٩) الكاثوليك تسمى كنيستهم بالكنيسة الغربية لامتداد نفوذها إلى الغرب اللاتين الذين يقطنون إيطاليا وبلجيكا وفرنسا وأسبانيا والبرتغال، كما يوجد لها أتباع في كل القارات الخمس. - للمزيد انظر - أمين القضاة ورفيقاه، مرجع سابق، ص ١٠٠.
- (٨٠) يوسف الحسن، البعد الديني في السياسة الأمريكية، مرجع سابق، ص ٥٦-٥٧.
- (٨١) المرجع السابق، ص ٥٧.
- (٨٢) إسماعيل الكيلاني، مرجع سابق، ص ١٦١.
- (٨٣) أول ما ظهر هذا المصطلح (اللاسامية) عام ١٩٣٨ على لسان صحفي ألماني يكره اليهود يدعي (ولهام مار)
- Louis Bolding, The Jewich Problem, London: Penquin, p.92.
- (٨٤) إسماعيل الكيلاني، مرجع سابق، ص ١٦٣.
- (٨٥) اليكسي جوارنسكي، الإسلام والمسيحية، ترجمة خلف محمد جراد - الكويت: المجلس الوطني للثقافة، ١٩٩٦، ص ١٨١.
- (٨٦) إسماعيل الكيلاني، مرجع سابق، ص ١٦٣.
- (٨٧) زياد أبو غنمية، مرجع سابق، ص ٨٢.
- (٨٨) صحيفة الدستور الأردنية الصادرة في (٧) آذار / مارس ١٩٨٢.
- (٨٩) إسماعيل الكيلاني، مرجع سابق، ص ١٦٤.
- (٩٠) المجمع الفاتيكاني هو مجمع كنائس مكون من مجلس الكرادلة ويرأسه البابا، ولهذا المجمع الحق في إصدار إرادات بابوية سامية، وهي في نظرهم إرادات إلهية، لأن البابا خليفة بطرس

- تلميذ المسيح ووصيفه، فهو بالتالي يمثل الله، لذا فإرادته والحالة هذه لا تقبل الشك والمناقشة والجدل - انظر - أمين القضاة ورفيقاه، مرجع سابق، ص ١٠٠.
- (٩١) كانت الزيارة في ١٣ نيسان / إبريل عام ١٩٨٦ وهذا التاريخ يتوسط عيد الفصح النصراني ونظيره اليهودي - انظر - إسماعيل الكيلاني، مرجع سابق، ص ١٦٦-١٦٧.
- (٩٢) من الصعوبة بمكان استعراض كافة مواقف وتصريحات قادة الغرب جميعاً، ولكننا سنكتفي بالبعض تعزيزاً للقول وبالقدر الذي يخدم الفكرة.
- (٩٣) ريجينا الشريف، الصهيونية غير اليهودية: جذورها في التاريخ الغربي، ترجمة أحمد عبد الله عبد العزيز - الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون، ١٩٨٥، ص ١٦٠ - ١٦١ - أنظر أيضاً - جورج كنعان، وثيقة الصهيونية في العهد القديم، مرجع سابق، ص ١١.
- (٩٤) يوسف الحسن، البعد الديني، مرجع سابق، ص ٣٣.
- (٩٥) المرجع السابق، ص ٣٢.
- (٩٦) أسعد رزوق، إسرائيل الكبرى: دراسة في الفكر التوسعي الصهيوني - بيروت: أبحاث المنظمة، ١٩٨٦، ص ٢٠٧.
- (٩٧) جورج كنعان، وثيقة الصهيونية، مرجع سابق، ص ١٣٦.
- (٩٨) تقرير نورت بونيت، درع الصحراء والنظام العالمي الجديد (مترجم) عمان: دار الكرمل، ١٩٩١، ص ١٦-١٧.
- (٩٩) يوسف الحسن، مرجع سابق، ص ٢٩.
- (١٠٠) عبد الله النجار، أسرار المؤامرة الصهيونية - بيروت: د.ت. - ص ٥٢.
- (١٠١) جورج كنعان، وثيقة الصهيونية، مرجع سابق، ص ١٣٥ - أنظر أيضاً - مكتب الهيئة العربية العليا لفلسطين، حقائق عن قضية فلسطين - القاهرة: دار الكتاب العربي، ١٩٥٧، ص ٣٢.
- (١٠٢) منهج الإبادة: هذا منهج توراتي خالص، اتبعه يوشع بن نون كما تقول التوراة، فعند دخوله أربحا قتل أهلها وأحرقهم، وفعل بعاي (قرب دير دبوان اليوم) كذلك - انظر - سفر يوشع الإصحاح ٦: (٢٤-٢٥)، والإصحاح ٨ (٢-٣) والإصحاح ٨: (٣٥-٣٦) ومنهج الإبادة ذاته فعله الأوروبيون مع الهنود الحمر في أمريكا عند اكتشافها - انظر - فكتور سحاب، مرجع سابق، ص ١٩٤ - أنظر أيضاً - جورج كنعان، وثيقة الصهيونية في العهد القديم، مرجع سابق، ص ١٣٥.

- (١٠٣) جورج كنعان، وثيقة الصهيونية، مرجع سابق، ص ٥١.
- (١٠٤) حسان الحلاق، موقف الدولة العثمانية من الحركة الصهيونية (١٩٩٧-١٩٩١)، بيروت: الدار الجامعية، ١٩٨٦، ص ٤٤-٥٥.
- (١٠٥) تقرير نورث بونيت، مرجع سابق، ص ٢١، ٢٤.
- (١٠٦) إسماعيل الكيلاني، مرجع سابق، ص ١٢٢-١٢٣.
- (١٠٧) المرجع السابق، ص ١٢٤.
- (١٠٨) كلود جوليان، الإمبراطورية الأمريكية (مترجم) بيروت: دار الحقيقة، د.ت. ص ٧.
- (١٠٩) سفر الخروج الإصحاح ١٣: (٢١).
- (١١٠) هذه الرؤيا التوراتية للوطن اليهودي عند الرئيس - الأمريكي السابق - جيمي كارتر، أما رؤيته الإنجيلية لذات الوطن، فقد عبر عنها بقوله: " أعتقد أن هذا الوطن اليهودي - يقصد فلسطين - يتناسق مع تعاليم الإنجيل وأنه أمر قدّره الله ". حول الرؤيا التوراتية الواردة في المتن - انظر - إبراهيم يحيى الشهابي، نقاط على الحروف في الصراع العربي - الصهيوني - دمشق: دار الأدهم للترجمة، ١٩٨٦ - ص ٥٤ - انظر أيضاً - يوسف الحسن، البعد الديني في السياسة الأمريكية، مرجع سابق، ص ٨٣. أما ما يتعلق بالرؤيا الإنجيلية - انظر - فتحي عبد الرحمن العرقان، هكذا كادوا للإسلام وزوروا التاريخ، ط ١ - عمان: دار عمار، ١٩٩٠ - ص ٦٧.
- (١١١) محمد عمارة، التيار القومي الإسلامي - القاهرة: دار الشرق، ١٩٩٧، ص ١١٨.
- (١١٢) جورج كنعان، وثيقة الصهيونية، مرجع سابق، ص ١٣٨.
- (١١٣) بنيامين فرانكلين أحد أبطال التحرير الأمريكي، عضو لجنة إعداد وثيقة الاستقلال عام ١٧٧٦، وعضو الكونجرس الأمريكي عام ١٧٧٨، ومندوب عن ولاية بنسلفانيا في لجنة صياغة بنود الائتلاف الوطني بين ولايات الولايات المتحدة عام ١٨٨٧، لقد كانت مقولته التي أوردناها بالمتن بمثابة الانذار المبكر، الذي يحذر الأمريكيين من خطورة الدور الكبير الذي يلعبه اليهود في الولايات المتحدة - للمزيد انظر - عبد العزيز سليمان نوار وعبد المجيد نعنعي، تاريخ الولايات المتحدة الأمريكية - القاهرة: دار الفكر: ١٩٨٨، ص ٧٤، ٧٦. - انظر أيضاً - مورتمج أدلر، الدستور الأمريكي أفكاره ومثله، ترجمة صادق إبراهيم عودة - عمان: مركز الكتب الأردني، ١٩٨٩، ص ١٨٩، ١٩٦.

- (١١٤) خالد فلاح علي، فلسطين والانتداب البريطاني - بيروت: المؤسسة العربية للنشر، ١٩٨٠ ص ٢٠ - انظر - زياد أبو غنيمه، السيطرة الصهيونية على وسائل الإعلام العالمية، ط ١ - عمان: دار عمار، ٨٤ - ص ١٥٨ - انظر أيضاً - السفير عبد الله النجار وكمال الحاج، الصهيونية بين تاريخين، ط ١ - بيروت: دار العودة ١٩٧٢، ص ١٨٥.
- (١١٥) المرجع السابق، ص ١٤٢.
- (١١٦) للإطلاع على أسماء هؤلاء ومراكزهم في الإدارة الأمريكية - انظر - جريدة المجد (الأردنية) العدد (١٦) الصادرة بتاريخ ١٦ آذار، ١٩٨٨.
- (١١٧) رجاء جارودي: الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية، ترجمة دار الغد - القاهرة: دار الغد العربي، ١٩٩٦، ص ١٨٤.
- (١١٨) أحمد فؤاد أرسلان، نظرية الصراع الدولي: دراسة في تطور الأسرة الدولية - القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ص ٤٩، ١٥٦.
- (١١٩) مروان بحيري، الحركة الصهيونية منذ نشأتها حتى نشوب الحرب العالمية الأولى، فصل من القضية الفلسطينية والصراع العربي - الصهيوني، ج ١، الموصل: مطابع جامعة الموصل، ١٩٨٣، ص ٥٩١.
- (١٢٠) المرجع السابق، ص ١٩٥، ٢١٤.
- (١٢١) المرجع السابق، ص ٢١٤.
- (١٢٢) أصدر موزس مؤلفه عام ١٨٦٢ باللغة الألمانية تحت عنوان روما والقدس، أثار فيه القومية اليهودية، وأسطورة الجنس النقي، وشعب الله المختار، والحضارة المتمدنة لليهود في العالم، والمعاناة التي تعرضوا لها حتى ابتدع في نهاية الأمر القومية اليهودية الحديثة - للمزيد انظر - مصطفى طلاس، آفاق الاستراتيجية الصهيونية، ط ٢ - دمشق: دار طلاس، ١٩٨٧، ص ٤٣.
- (١٢٣) المرجع السابق، ص ٤٣.
- (١٢٤) مروان بحيري، مرجع سابق، ص ١٩٣، ٢١١.
- (125) Andro Chouraqui, A Man Alone: The Life Of Theodore Herzl- Jerusalem: Kater, 1970, pp. 63-64.
- (١٢٦) ألفرد دريفوس فاير (١٨٥٦ - ١٩٣٥) أحد كبار هيئة الأركان الفرنسية، وهو اليهودي

الوحيد بينهم، اتهم بأنه سرق وثائق سرية عسكرية بمساعدة الماسونيين هناك، وسلمها للملحق الألماني في باريس، فوجهت له الخيانة العظمى عام ١٨٩٤م، وتم الحكم عليه بالسجن مدى الحياة، وجرد من رتبته العسكرية علناً أمام الجمهور، ورحبت الصحافة بالحكم بعد أن كانت هيئت أجواء الرأي العام ضده، تركت هذه الحادثة أثراً بالغاً في نفسية هرتزل - على الرغم أنه كان متأكداً أن دريفوس ارتكب ما أسند إليه من تهمة - حتى إنه اكتشف عبث محاولة الاندماج وصهر اليهود في المجتمعات التي يعيشون فيها - للمزيد انظر - عبد الوهاب المسيري، الجمعيات السرية، البرتوكولات، الماسونية، البهائية - القاهرة: دار الهلال، ١٩٩٣، ص ١٥٥-١٦٠.

(١٢٧) مروان بحيري، مرجع سابق، ص ١٢٢ - ٢٢٢.

(١٢٨) علي وهب، الأداء السياسي الصهيوني - البريطاني في فلسطين، مجلة المنطلق (لبنان)، العدد (٨٨ / ٩٨)، ١٤١٢ هـ، ص ٦٧.

(١٢٩) محمد أحمد كنعان، بنو إسرائيل واليهود: تاريخ ومصير، ط ٢ - بيروت: دار البشائر، ١٩٩٤، ص ١٦.

(١٣٠) تطالب الصهيونية بجمع شتات اليهود في فلسطين (أرض الميعاد) لإقامة الدولة اليهودية متأثرة برياح القومية الأوروبية، هذه الدولة قائمة على البعث الحضاري والقومي اليهودي، مما يجعل - الصهيونية - منها إيديولوجيا شمولية تستند إلى المضمون الديني للديانة اليهودية وتحديد مجموعة من القيم العليا والأهداف المطلوب تحقيقها، بغض النظر عن الانتماءات الحزبية والتيارات السياسية التي تعمل تحت مظلتها سواء كانت يسارية أم يمينية، اشتراكية أم رأسمالية، دينية كانت أم علمانية. وعلى الرغم من الصراعات القائمة بينها واختلاف إيديولوجياتها إلا أنها تتفق وتتحد في الأهداف النهائية للحركة الصهيونية وتعمل معاً لإنجازها. وأول هذه الأهداف إقامة الدولة اليهودية كما أرادها هرتزل. للمزيد انظر - نظام بركات، آلية صنع القرار السياسي في إسرائيل-جامعة اليرموك (إربد): مركز الدراسات الأردنية، ١٩٩٧، ص ٩-١٠.

(١٣١) يذكر أنه في عام ١٩٢٤ وقعت المعاهدة الأنجلو-أمريكية، وقد تضمنت بنودها موافقة الولايات المتحدة ودعمها لوعده بلفور البريطاني - للمزيد انظر -

Deconde, Alexander, A History of America Foreign Policy, New York, Charle, Scribner and Sons, 1963, p.745.

(١٣٢) أعلن قيام الدولة في تل أبيب الزعيم الصهيوني بن جوريون واتفق على تسميتها إسرائيل،

وهذا الاسم في حد ذاته له أبعاد إيديولوجية، إذ إن هذه الكلمة مركبة من مقطعين هما (إسرا) بمعنى (صفوة) و (إيل) وتعني (الله) فيكون معنى الكلمة (صفوة الله) أو (شعب الله المختار) - للمزيد انظر أمين القضاة ورفقاه، مرجع سابق، ص ١٤-١٥.

(١٣٣) محمد عمارة، الطابع الإسلامي للصراع حول القدس، بحث مقدم لمؤتمر القدس في الخطاب المعاصر ما بين (١٢ - ١٣) أيار ١٩٩٨ - جامعة الزرقاء الأهلية (الزرقاء): كلية الآداب، ١٩٩٨، ص ٣-٤.

(١٣٤) إن زعم اليهود بأنهم شعب الله المختار ينطوي عليه عدة مخاطر تتلخص بما يلي: تشجيع معتنقي فكرة شعب الله المختار على العدوان واستغلال الآخرين، وتدفعهم إلى احتقار الشعوب الأخرى والاستهانة بهم، وفيه مساس بكرامة الشعوب الأخرى والخط من شأنهم - للمزيد انظر - أمين القضاة ورفقاه، مرجع سابق، ص ١٤ - ١٥.

(١٣٥) عند انهيار الاتحاد السوفيتي، وضعت الولايات المتحدة يدها على منظمة الأمم المتحدة وحصلت الدولة اليهودية على قرار في ١٦ كانون الثاني ١٩٩١ يقضي بإلغاء قرار التمييز - انظر - رجاء جارودي، مرجع سابق، ص ٦٨، وللإطلاع على قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة رقم (٣٣٧٩)، الذي وصم الصهيونية بالعنصرية - انظر - جورج جبور، ما هو القرار (٣٣٧٩) مجلة المنابر (بيروت)، العدد (١٠) كانون الأول، ١٩٨٦، ص ٨٩ - ٩٠.